

فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء

ناصريف اليازجي



فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء

تأليف
ناصر اليازجي



فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء

ناصريف اليازجي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١١٥٠ ٣

صدر هذا الكتاب عام ١٨٨٩.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

الحمد لله الكريم الوهاب. الذي بيده الفضل يُؤتيه من يشاء، ويرزق من يشاء بغير حساب. أما بعد، فإذا كان ذكر الشيخ ناصيف اليازجي قد سار في كل طريق، فتواردت إليه المراسلات من كل فجٍّ عميق؛ رأينا أن نطبع ما دار بينه وبين القوم من هذا القبيل. وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء

من ذلك ما ورد إليه من عبد الباقي أفندي العمريّ من بغداد. وهو قوله:

وبَدَتْ كَبَدْرٍ لَاحَ بَيْنَ كَوَاكِبِ
مَلَقَى قَتِيلَ ذَوَابِلٍ وَقَوَاضِ
كَالْمِسْكِ فَوْقَ كَوَاهِلٍ وَمَنَاكِبِ
فَتَعَجَّبتَ مِنْ فِرْعَهَا بَغْيَاهِبِ
سَبْغًا فَلَا تُطْفِي بَدَمْعٍ سَاكِبِ
أَنَّ الرَّدَى بِمِعَاطِفٍ وَحَوَاجِبِ
خَطَرَتْ وَمَاسَتْ كَالنَّزِيفِ الشَّارِبِ
وَالْجَفْنُ صَارَ كَخَطْوِهَا الْمُتْقَارِبِ
أَبَدًا لِسَبْعِ أَسَاوِدٍ وَعَقَارِبِ
يَنْسَابُ كَالْحَيَاتِ بَيْنَ سَبَاسِبِ
كَالْبَرْقِ يَطْوِي الْبَيْدَ تَحْتَ الرَّاكِبِ
وَحِشَّ الْقَفَارِ أُسِيرَ بَيْنَ مَوَاكِبِ
تَلَفًا وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
عِنْدِي وَأَنْعَمَ لِي بِمَنْعِ مَطَالِبِي
أَوْ بَاتَ يَنْهَشُنِي بِنَابِ نَوَائِبِ
لَمْ يَرْمِهَا إِلَّا بِصَوْبِ مَصَائِبِ
عَيْنِي وَأَوْلَتْنِي بَلَوْنَ شَاكِبِ

زَارَتْ حِمَاكَ بِكُلِّ بِكْرٍ كَاعِبِ
وَتَرَنُّحَتْ وَرَنْتَ فَأَصْبَحَ صَبُّهَا
نَشَرَتْ ذَوَائِبَهَا فَفَاحَ عَبِيرُهَا
نَظَرْتَ عَلَى بَعْدِ خَيَالِ رَقِيبِهَا
قَدْ أَحْرَقْتَ كَبِدِي بِنَارِ خُدُودِهَا
لَمْ أَدِرْ قَبْلَ قَوَامِهَا وَلِحَاضِهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا اللَّمَى خَمْرًا لَمَّا
لَيْلِي طَوِيلٌ حَالِكٌ كَفُرُوعِهَا
أَمْسَى الْفَوَادُ بِشَعْرِهَا وَبِصَدْغِهَا
وَلَقَدْ رَكِبْتُ مِنَ الْجِيَادِ مُطَهَّمًا
أَلْفَ الْفَلَا لَفَّ الْفِدَافِدُ بِالرُّبَا
فَكَأَنَّني مِنْ فَوْقِهِ مَلِكٌ وَمِنْ
أَصْبُو إِلَى نَحْوِ الْحِمَى مُتَلَقِّتًا
مَا لِي وَصَرَفَ الدَّهْرُ طَالَ مَطَالَهُ
وَيَهْشُ إِنَّهُ هُوَ ظِلُّ يَهْشُمُ أَعْظَمِي
إِنْ رُمْتُ أَنْ يُطْفِي ضِرَامَ ضَمَائِرِي
سَحَّتْ وَشَحَّتْ بِالْذُّمُوعِ وَبِالْكَرَى

لَذَعَ الْحَشَى مِنِّي وَعَيْنِ مُرَاقِبٍ
لَا زَالَ يَرْمِينِي بِسَهْمٍ صَائِبٍ
قَلَمٌ بَدَا بِيَدَيَّ نَصِيفِ الْكَاتِبِ
كَالتُّبْرِ لَمَّا لَاحَ فَوْقَ تَرَائِبِ
حَاكَتْ سَمَاءً زَيْنَتْ بِكَوَاكِبِ
بَرَقَ سَرَى مَا بَيْنَ خَمْسِ سَحَائِبِ
وَبَكَّتْ بِهِ كَمَ فَلَّ جَيْشٍ كَتَائِبِ
أَغْنَى اللَّيِّيبُ بِهِ عَنِ ابْنِ الْحَاجِبِ
فَكَأَنَّ فِيهِ مُحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ
رَقَّ ابْنُ عَبَّادِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ
وَافَى لَهُ بِفَرَائِدِ وَغَرَائِبِ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ بِطَالِعٍ أَوْ غَارِبِ
وَبِهِ تَكْفَى عَنْ صِنَاعَةِ كَاسِبِ
وَتَظَلُّ تَرَعَاهُ بِمَنْلَةِ طَالِبِ
لَعَلَّ عَلَى الشُّعْرَى بَعْشَرِ مَرَاتِبِ
وَيَمِيلُ لُطْفًا كُلُّ سَارٍ سَارِبِ
وَبِحُلْمِهِ أَمْسَى كَطَوْدٍ رَاسِبِ
وَاللَّفْظُ عَذْبٌ كَالنَّبَاتِ الذَائِبِ
وَجَرَتْ سَوَابِقُهُ بِسَوْقِ تَجَارِبِ
يَحْزَنُ عَلَى فُقْدَانِ مَالٍ ذَاهِبِ
وَالرَّأْيُ مِنْهُ كَالشُّهَابِ النَّاقِبِ
بَيْنَ الْأَنَامِ فَلَمْ أَقْمُ بِالْوَاجِبِ
تَرْتِيبَ مَدْحِي فِي نَصِيفِ الْكَاتِبِ

عُمَرِي مَضَى مَا بَيْنَ مَذَوْدٍ عَاذِلٍ
أَخْطَتْ سَهَامُ الْبَيْنِ قَلْبِي وَالْهَوَى
أَبْلَى النَّوَى جَسَدِي النَحِيفَ كَأَنَّنِي
حَبْرٌ حَلَا فِي جِبْرِهِ قِرْطَاسُهُ
فَسْطُورُهُ وَطُرُوسُهُ فِي حُسْنِهَا
وَكَأَنَّمَا أَقْلَامُهُ وَبَنَانُهُ
فَلَكُمْ أَفَادَ مَرُوعًا بَيْرَاعِهِ
وَلَكُمْ بَعْلَمِ النَحْوِ أَوْضَحَ مَنَهْجًا
فَطِنٌ حَوَى مِنْ كُلِّ فَنٍّ قَلْبُهُ
رَقَّتْ لَطَافَةُ شَعْرِهِ وَاسْتَعْبَدَتْ
لَوْ رَامَ نَظْمَ الدُّرِّ فِي أَصْدَافِهِ
أَوْ لِلدَّرَارِي شَامَهَا أَوْ شَاءَهَا
سَبَكَ الْقَرِيضَ وَصَاغَهُ جَلِيًّا لَهُ
تَجْرِي الْقَوَافِي تَحْتَ ظِلِّ يَرَاعِهِ
لَوْ كَانَ يَرْقَى الْمَرْءُ فِي الشَّعْرِ الْعُلَى
تَصْبُو إِلَى أَخْلَاقِهِ رِيحُ الصَّبَا
حَفَّتْ بِهِ الْعُلْيَا فَخَفَّ بِحِمْلُهَا
ذَرَبُ اللِّسَانِ يَذُبُّ فِيهِ مَخَاصِمًا
رَبَحَتْ تِجَارَةُ حَظِّهِ فِي خَطِّهِ
لَمْ يَبْتَهِجْ فِي الدَّهْرِ فِي ذَهَبٍ وَلَمْ
يَبْدُو مُحْيَاهُ كَبِيرِ طَالِعِ
لَوْ قَمْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ أَنْشُدَ مَدَحَهُ
وَبِمَدَحِهِ الْعُمَرِيُّ أَبَ مُؤَرِّخًا

[وَبِمَدَحِهِ الْعُمَرِيُّ أَبَ مُؤَرِّخًا = سَنَةِ ١٢٦٤، تَرْتِيبَ مَدْحِي فِي نَصِيفِ الْكَاتِبِ = سَنَةِ

.[١٨٤٨]

فأجابه بقوله:

قد صرتُ ويحكَ حاضراً كالغائب
بالشام في أهلي فلستَ بصاحبي
ممن أُصيب بأعينٍ وحَوَاجِبِ
فسَكِرْتُ لكنْ لا بخمرةٍ شارِبِ
يجدُ الفتى فيه السبيلَ لِعَائِبِ
ونباهةُ المطلوبِ مجدُ الطالبِ
متباعداً في صورةِ المتقاربِ
فأتت كتزكيةِ الشهودِ لكاتبِ
قد شاعَ بينَ مشارِقٍ ومَغَارِبِ
عقدُ بلى الآحادَ عندَ الحاسبِ
منظومةٌ من صُنْعِ فكرٍ ثاقِبِ
ضُرِبَتْ لَهُ الأوتادُ بينَ ترائبِ
فيه ولكن بالخليقِ الواجبِ
أهدى لنا من نَفْسِهِ بِمَنَاقِبِ
عَجَباً إلى ما فوقَ فوقَ مراتبي
وإذا افْتَخَرْتُ جَعَلْتُ ذلكَ ناسِبي
ماذا تَرى في أمرِ قلبٍ ذائِبِ
كالفعلِ بينَ جَوَازِمِ ونَوَاصِبِ
مني فإنَّ الرَّدَّ حُكْمُ الغاصِبِ
وقَفَ العراقُ فلا يَصِحُّ لِواهِبِ
في قُطْرِ أرضٍ لم تطأهُ رِكاكُبي
ولأجلِها أطرافُ ذاكَ الجانبِ
حبُّ الوجوهِ عليه لمحَّةٌ كاذِبِ
فهناكَ قلبٌ لا يُرَدُّ بِحاجِبِ
فضلٌ فذاكَ عليَّ ضربةٌ لازِبِ
وكلاهما للنَّفْسِ أكبرُ جاذِبِ

يا أيُّها القلبُ الخفوقُ بجانبِي
الحَقَّ بأهلكَ في العراقِ وحَلَّني
فَتَنَّتْكَ أَفئدةُ الرجالِ فلم تَكُنْ
عاطيتَ لكن لا بكأسِ مُنادِمِ
ذُقْتَ الهوى صَرفاً وما كُلُّ الهوى
حبُّ الكريمِ كرامةٌ لمُحِبِهِ
قد شافَكَ العُمريُّ قطبُ زمانِهِ
متواترَ الآثارِ أَرَدَفَ كَتَبُهُ
هذا إمامٌ في الأئمةِ ذَكَرُهُ
ولئنْ تَأَخَّرَ في الزمانِ فَإِنَّهُ
نجني الفرائدَ من بِحارِ قَرِيضِهِ
من كُلِّ قافيةٍ شُرُودِ بيتِها
أثنى جميلاً من تَعَوَّدَ سَمِعُهُ
أثنى بما هو أَهلُهُ فَكأنَّما
شَرَفُ لِبَسْتُ طِرَازَهُ فاهتَزَّنِي
فإذا ادَّعيتَ جَعَلْتُ ذلكَ شاهِدِي
يا جابرَ القلبِ الكسيرِ بِلُطْفِهِ
ما زالَ يَقْعُدُهُ الهوى وَيُقيِمُهُ
ارْدُدْ فؤاداً لي أراكَ غَصَبَتُهُ
ما كانَ أَسَمَحَنِي بِهِ لَكِنَّهُ
شوقي إلى مَنْ لم تَرَاهُ نواظِرِي
أحببتُ زوراءَ العراقِ لأجلِهِ
حقَّ المحبةِ للقلوبِ فَقَدْ أَرَى
وإذا تَعَرَّضَ دُونَ عَيْنِ حاجِبِ
أفديكَ يا مَنْ ليس لي في حُبِّهِ
أَحْسَنْتَ في قولٍ وفعلٍ بارِعاً

من رازق مَن شاءَ غيرَ مُحاسِبٍ
وإذا نَثَرْتَ فَأَنْتَ أَفْصَحُ خَاطِبٍ
وإذا فَكَّرْتَ فَعَن حُسامٍ قاضِبٍ
فسَوَادُ وَشَمٍ في مَعاصِمِ كاعِبٍ
كنتُ الرسولُ لها بِمَعْرِضِ نائِبٍ
في ذِمَّةِ العُمريِّ تحتَ مَضاربٍ
وتَقوُّدِها الأشواقُ قودَ جَنائِبٍ
كم أَغْرَقْتَ صَهواتَهُ من رَاكِبٍ
تَلقى البَقِيَّةَ من كِرامِ أعارِبٍ
نُشِرَ الفَرَزْدَقُ في تَمِيمِ الغالبِ
بمدى تقصر فيه جردُ سَلاهِبٍ
فلقد أَصَبْتَ وما المَloomُ بَعَاتِبٍ

أَنْتَ الَّذي نالَ الكَمالَ مُوفِّقًا
فإذا نَظَّمْتَ فَأَنْتَ أبلَغُ شاعِرٍ
وإذا نَظَّرْتَ فَعَن شَهابٍ ثاقِبٍ
وإذا جَرَّتْ لك في الطُّروسِ براعةٌ
هذه رسولٌ لي إِلَيكَ وليتَنِي
شاميَّةٌ من آلِ عيسى أَقبَلَتْ
عِذراءُ يَثنِيها الحِياءُ مَهابةً
نَزَعَتْ إلى ماءِ الفِراتِ وما دَرَتْ
تلكَ البَقِيَّةَ من ذِخائرِ أعجمٍ
من كُلِّ نابِغةٍ يَفِيضُ كائِناً
ماذا يَقومُ ولو تَطاولَ قاصِرُ
فَلَكَ الجَميلُ إذا عَذَرْتَ وإنْ تَلُمُ

وأرسلَ إليه الشيخ عبد الحميد الموصلي من بغداد هذه الأبيات:

وأخَفُ إن سَنَحْتَ ظِباءَ الخِيفِ
من دُونَهُنَّ بِنائِظِ مَطروفِ
والجَفْنُ جادٌ بِدَمْعِهِ المَذروفِ
سَمِعْتُ رنينَ خَلاخِلِ وشنوفِ
بعد الوِصالِ إلى المطالِ الكوفي
يُتَحَفَّنِي إلّا كئُوسَ حُتوفِ
بِربيعِ لَدَاتِي وطيبِ خَريفِ
بَرْدَ الشِّتاءِ وَحرَّ نارِ مَصيفِ
في شَعرِهِ المُبَيِّضُ كالمَكْتوفِ
والشَّيبُ صارَ كَقُطَنِهِ المَنَدوفِ
وَتَنَكَّرْتَ لامِي من التَّعريفِ
رَدْفاهُ لا يَشكو من التَّكْلِيفِ
وأَعْلَلُ الأمالَ بالتَّسْوِيفِ

حتى مَ أَهفو للقدودِ الهيفِ
وأمدُّ طَرفي لِلحِسانِ وَأَنَتَنِي
أَذكى الهوى بِحِشاشَتِي نارَ الجوى
أَوَقَرَنَ أَذاني الحِوادثُ بَعْدَما
وَنَفَرَنَ عني الغانياتُ ومِلَنَ من
ومَنَعَنِي رَشَفَ اللَّمي وَأَبَيَنَ أنْ
أَسَفًا على عَصِرِ الشَّبابِ وقد مَضَى
وَلَّى وأَبقى في الجُسومِ وفي الحِشا
والشَّيبُ سَوَدَ صَفَحَتَيَّ وقادَنِي
والظَّهْرُ ضاهى قَوْسَ نَدَافِ القُرى
والدَّهْرُ أنكَرَ صُحْبَتِي من لُومِهِ
وَكَلَّفْتُ في شاكي اللَّحاظِ ثَقِيلَةً
وبَقِيَتْ أُسْتَفُّ الدُّعافِ تَصَبُّراً

قَلْبِي وَطَرْفِي أَصْبَحَا مِنْ بُعْدِهِ
لَمْ أَخْظَ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ حَادِي النَّوَى
وَمِنْ النَّوَاطِرِ وَالْفُؤَادِ فَلَمْ أَفْزُ
وَالنَّوْمُ زَالَ عَنِ الْعَيُونِ وَلَمْ أَزَلْ
أَنْسَابُ مَا بَيْنَ السَّبَاسِبِ وَالرُّبَى
فَكَأَنَّني مَلِكٌ وَمِنْ غَوْلِ الْفَلَا
كَمْ لَيْلَةٌ لَيْلَاءُ بَتُّ بِقَفْرِهَا
مُتَعَلِّلًا بَلْعَلٌ أَنْ يَلْحَظَنَّني
وَبَرِّمَا رَيْمُ الْفَلَا بَعْدَ الْفَلَى
وَعَسَى بِرَشَفِ لَمَاهُ يَشْفِي عِلَّتِي
لَذَعَ الْهَوَى مِنْي الْفُؤَادَ وَإِنِّي
أَبْلَى الضَّنَى جَسَدِي فَصِرْتُ كَأَنِّي
حَبْرٌ كَفَنَهُ لَدَى الْوَعَى أَقْلَامُهُ
وَالدُّرُّ يَهْوَى وَالدراري تَشْتَهِي
لَوْ أَبْصَرْتُ عَيْنُ ابْنِ مُقْلَةٍ خَطُّهُ
كَبِشُ الْكَتَائِبِ وَالْكِتَابِ وَإِنَّهُ
مُتَوَقِّدُ الْأَفْكَارِ يَوْشِكُ فِي الدُّجَى
فَطِنْ تَمَنَّى بِالفَصَاحَةِ وَارْتَدَى
مُتَصَرِّفٌ فِي كُلِّ فَنٍّ فِكْرُهُ
بَحْرٌ وَفِيهِ فَرَائِدٌ مِنْ نَظْمِهِ
تَطْفُو جَوَاهِرُهُ لِيَقْرَبَ أَخْذُهَا
يَحْلُو عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ مَذَاقُهُ
إِنْ حَارَتْ الْأَرَاءُ مِنْ أَهْلِ النُّهَى
وَإِذَا النُّفُوسُ تَنَافَرَتْ وَاسْتَوْحَشَتْ
فِي كُلِّ حِينٍ ذِكْرُهُ فِي حِينَا
هُوَ دَوْحَةُ الْأَدَبِ الَّتِي طَوَّلَ الْمَدَى
هُوَ رَوْضَةٌ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ النَّدَى

وَالْبَيْنِ بَيْنَ مُقَرَّحٍ مَكْفُوفٍ
إِلَّا بِبَحْرِي وَإِفْرِ وَخَفِيفٍ
إِلَّا بِخَلِّي فَاسِقٍ وَعَفِيفٍ
أَفْرِي بَطُونٍ فِدَافِدٍ وَكُهْوفٍ
لَمْ تَثْنِ حَدِّي حَادِثَاتُ صُرُوفٍ
أَخْتَالُ بَيْنَ عَسَاكِرِ وَصُفُوفٍ
وَالجَنُّ جُنْدِي وَالْوَحْشُ ضُيُوفِي
هَيْفُ الْمَعَاطِفِ مِنْ خِلَالِ سُجُوفٍ
يَحْنُو عَلَيَّ بِصَدْغِهِ الْمَعْطُوفِ
أَوْ يَسْقِي غَلَّةَ مُدْنَفٍ مَشْغُوفٍ
لَا أَرْعَوِي بِالْعَدْلِ وَالتَّعْنِيفِ
قَلَمُ الْكِتَابَةِ فِي أَكْفٍ نَصِيفِ
عَنْ هَزِّ أَرْمَاحٍ وَسَلِّ سُيُوفِ
تَهْوِي لِيَكْتُبُهَا كَبْعُضُ حُرُوفِ
صَارَتْ كَجَارِيَةٍ لَهُ وَوَصِيفِ
بِالنَّحْوِ يَنْطَحُ هَامَةٌ ابْنِ خُرُوفِ
يَبْدُو لَهُ الْمَسْتُورُ كَالْمَكْشُوفِ
جَلْبَابُ عِلْمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ
وَعَنْ الْمَكَارِمِ لَيْسَ بِالْمَصْرُوفِ
عَذْبٌ بَعِيدُ الْغُورِ غَيْرُ خَسِيفِ
لِلْمُجْتَدِيهَا مِنْ جَمِيعِ طُفُوفِ
وَيُرُومُ فَعَلَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
رَاحَتْ إِلَى عَقْلٍ لَدَيْهِ شَرِيفِ
أَوَتْ لِمَرْبَعٍ أَنْسَهَ الْمَأْلُوفِ
أَبَدًا يُنْفَسُ كُرْبَةُ الْمَلْهُوفِ
تُعْطِي الْمُنَى مِنْ دَانِيَاتِ قُطُوفِ
مِنْ فَوْقِ جِسْمٍ كَالنَّسِيمِ لَطِيفِ

قد حازَ كلَّ الحُسْنِ في تحريره
لا زال محفوفًا بحظٍّ وافر
ففيه صفا عبد الحميد مؤرخًا
وأجادَ في التأليفِ والتصنيفِ
والخطُّ مثل الحظِّ بالتصنيفِ
ناهيتُ نظمي في مديحِ نصيفِ

[فيه صفا عبد الحميد مؤرخًا = سنة ١٢٦٤، ناهيتُ نظمي في مديحِ نصيفِ = سنة

١٨٤٨].

فأجابه بقوله:

ما بَيْنَ أَعْطَافِ الْقُدُودِ الْهَيْفِ
إِنْ فَرَّ مِنْ تِلْكَ الرِّمَاحِ طَعِينُهَا
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْمَحَاسِنَ وَابْتَلَى
دَعَتِ الْخَلِيَّ إِلَى الْهَوَى فَأَجَابَهَا
أَمْسَى يَجُرُّ عَلَى الْقِتَادِ ذِيولُهُ
وَإِذَا الْهَوَى مَلَكَ الْفُؤَادَ فَإِنَّهُ
أَفْدَى عَذَارًا خَطَّ كَاتِبُهُ بِلَا
شَبَبْتُ فِيهِ تَصَبُّبًا حَتَّى أَتَتْ
خَوْدُ شُغْلَتْ وَقَدْ شُغِفَتْ بِحُسْنِهَا
تَحْتَالُ تَحْتَ رَقَائِقِ وَعَقَائِقِ
عَرَبِيَّةِ أَلْفَافِهَا قَدْ نُزِهَتْ
نَسَجَ الْبَدِيعِ لَهَا طِرَازًا مُعْلَمًا
أَهْلًا بِزَائِرَةِ عَلِيٍّ كَرِيمَةٍ
إِنْ لَمْ يَصْحِ الْمَدْحُ لِي مِنْهَا فَقَدْ
جَادَ الْإِمَامُ بِهَا عَلِيٌّ تَفَضُّلاً
رَجَعَ النِّبَاءُ بِهَا عَلَيْهِ بِلُطْفِهِ
عَلِمَ قَدْ اشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُ فَضْلِهِ
كَثُرَتْ صِفَاتُ الْوَاصِفِيهِ وَطَالَمَا
صَافِي السَّرِيرَةِ مُخْلِصٌ يَمْشِي عَلَى
أَفْعَالِهِ الْمُنْصَرِفَاتُ صَحِيحَةً

سَبَبُ ثَقِيلُ قَامَ فَوْقَ خَفِيفِ
لَقِيَتْهُ أَجْفَانُ الْمَهَى بِسُيُوفِ
مُهَجِّ الْقُلُوبِ بِحُبِّهَا الْمَالُوفِ
طَوْعًا وَعَاصِي دَاعِي التَّغْنِيفِ
مَنْ كَانَ يَعْتُرُ فِي رِمَالِ الرَّيْفِ
مَلَكَ الْفَتَى مِنْ تَالِدٍ وَطَرِيفِ
قَلَمَ لَنَا سَطْرًا بِغَيْرِ حُرُوفِ
عَذْرَاءَ مِنْ بَغْدَادَ تَحْتَ سُجُوفِ
عَنْ حُسْنِ كُلِّ وَصِيفَةٍ وَوَصِيفِ
وَمَنَاطِقِ وَقَرَّاطِقِ وَشُنُوفِ
عَنْ شُبْهَةِ التَّصْحِيفِ وَالتَّخْرِيفِ
مِنْ صَنْعَةِ الْأَقْلَامِ فِي التَّفْوِيفِ
حَلَّتْ فَجَلَّتْ عَنْ مَحَلِّ ضِيُوفِ
صَحَّتْ بِذَلِكَ آيَةُ التَّشْرِيفِ
كَالْبَحْرِ جَادَ بِدُرِّهِ الْمَرْصُوفِ
فَكَأَنَّهُ رَجَعَ الصَّدَى لِهُتُوفِ
فِي النَّاسِ فَاسْتَعْنَى عَنِ التَّغْرِيفِ
لَذَتْ فَشَاقَتْنَا إِلَى الْمَوْصُوفِ
قَدَمِ التَّقَى وَبَجُرُ ذَيْلِ عَفِيفِ
سَلِمَتْ مِنَ الْإِغْلَالِ وَالتَّضْعِيفِ

عَنْ مُنْكَرٍ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
أَثَرُ السُّجُودِ عَلَى أَدِيمٍ حَنِيفٍ
لِبَسِ الشُّفُوفِ إِلَيْهِ لِبَسُ الصُّوفِ
مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا اجْتِنَاءُ قُطُوفِ
كُحْلٍ لَطَرْفِ النَّاطِرِ الْمَطْرُوفِ
لَكِنَّهَا كَالسُّمْرِ فِي التَّنْقِيفِ
تِلْكَ الْعَوَامِلَ أَحْسَنَ التَّصْرِيفِ
تَجْرِي عَلَى فَرَسٍ أَغْرَ قُطُوفِ
وَارِي الزَّنَادِ الْبَاهِرِ التَّأْلِيفِ
فِي الشَّامِ فَضْلُهُ كَاسِهِ الْمَرْشُوفِ
فِي كُلِّ مَعْنَى كَالنَّسِيمِ لَطِيفِ
ضَرَبَتْ عَرُوضًا لَيْسَ بِالْمَحْذُوفِ
أُمُّ الْعِرَاقِ أَتَتْ بِكُلِّ طَرِيفِ
عُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ بَضْعُ الْوَفِ
مِنْهَا وَإِنْ تَكُ أَمْنٌ كُلُّ مَخُوفِ
أَطْلَقْتُ عُذْرِي خَلْفَهَا كَرْدِيفِ

هُوَ عَارِفٌ بِاللَّهِ قَامَ بِنَهْيِهِ
سِيمَاؤُهُ فِي وَجْهِهِ الْوَضَّاحِ مِنْ
لَهَجٍ بَخْلُقِ الزَّاهِدِينَ أَحَبُّ مَنْ
يَهْفُو إِلَى زَهْرِ الْفَضَائِلِ عَائِفًا
يَاقُوتُ خَطٌّ مِنْ سَوَادِ مِدَادِهِ
أَقْلَامُهُ كَالْبَيْضِ فِي إِمْضَائِهَا
قَدْ صَرَفَتْ فِي الْمُعْرَبَاتِ بَنَانُهُ
تَسْعَى لَدَيْهِ عَلَى الرُّءُوسِ كَأَنَّمَا
الْعَالِمُ الشَّهْمُ الْفُوَادِ الشَّاعِرُ الـ
ثَمِلَ الْعِرَاقُ بِشَعْرِهِ حَتَّى جَرَتْ
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ كَزَهْرِ حَدِيقَةٍ
هِيَ مُعْجَزَاتٌ فِي صُدُورِ أُولَى النُّهَى
لَا بَدْعَ فِي عَبْدٍ الْحَمِيدِ فَإِنَّهَا
أُمُّ الْعِرَاقِ مَدِينَةُ الْخُلَفَاءِ وَالـ
لَا تُنْكِرُوا خَوْفًا يَهُولُ رِسَالَتِي
لَوْلا الْغُرُورُ حَبَسَتْهَا لَكِنَّنِي

وتوفي أنسباء لأحمد فارس أفندي الشدياق فقال يعزيه (كتب بها إليه في بلاد المغرب):

فَالْمَيِّتُ لِلدُّودِ وَالْمَوْلُودُ لِلدُّودِ
يُطَوَّى عَلَى عَدَمٍ فِي ثَوْبٍ مَوْجُودِ
مَا بَيْنَ تَصْوِيبِ أَنْفَاسٍ وَتَضْعِيدِ
إِلَّا عَلَى خَوْفٍ نَوْمٍ غَيْرِ مَحْدُودِ
وَلَا نُحَاشِي سَلِيمَانَ بَنَ دَاوُدِ
مِنْهُ وَيَغْتَرُّ مِنْهَا بِالْمَوَاعِيدِ
زَادَ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
طَوْعًا وَيُعْطِيهِ كُرْهًا غَيْرَ مَحْمُودِ

لَا نَبْكَى مَيِّتًا وَلَا نَفْرَحُ بِمَوْلُودِ
وَكُلُّ مَا فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ نَنْظُرُهُ
بَنَسِ الْحَيَاةِ حَيَاةً لَا رَجَاءَ لَهَا
لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا عَيْنٌ عَلَى سَنَةِ
مَا أَجْهَلَ الْمَرْءَ فِي الدُّنْيَا وَأَغْفَلَهُ
يَرَى وَيَعْلَمُ مَا فِيهَا عَلَى ثِقَةٍ
كُلُّ يُفَارِقُهَا صَفَرَ الْيَدَيْنِ بِلَا
يَضُنُّ بِالْمَالِ مَحْمُودًا يُثَابُّ بِهِ

عَنْ رَنَّةِ الْعُودِ أَوْ عَنْ رَبَّةِ الْعُودِ
قَفِي انْظُرِي كَيْفَ تُمْسِي أَعْيُنُ الْغَيْدِ
مَاذَا الْهَلَالُ وَمَاذَا بَهْجَةُ الْعِيدِ
كُلُّ لَيَّوْمٍ غَدَاةُ الْبَيْنِ مَشْهُودِ
حَتَّى اسْتَوَى كُلُّ مَرْحُومٍ وَمَحْسُودِ
إِنِّي سَأَتْرُكُ مَفْجُوعًا بِمَفْقُودِ
أَهْلٍ وَهَلْ لَكَ رُكْنٌ غَيْرُ مَهْدُودِ
فَأَنْتِ أَذْرَى بِبُرْهَانٍ وَتَقْلِيدِ
وَلَيْسَ لِلْحُزْنِ إِلَّا صَبْرٌ مَجْهُودِ
فَإِنَّ صَبْرَكَ مِثْلُ الْبَيْدِ فِي الْبَيْدِ
تَرَى وَأَيُّ فُؤَادٍ غَيْرُ مَفْقُودِ
هَانَ الْبَلَى بَيْنَ مَوْعِدٍ وَمَنْقُودِ
مِنْهَا الْأَسَى لِقَوَاتٍ غَيْرِ مَزْدُودِ
وَالْعِلْمُ فِي الْعَقْلِ مِثْلُ الطَّوْقِ فِي الْجِيدِ

هَانَ الْمَعَادُ فَمَا نَفْسٌ بِهِ شَغِلَتْ
يَا أَعْيُنَ الْغَيْدِ تُسْبِينَا لَوَاحِظُهَا
يَبْدُو الْهَلَالُ وَيَأْتِي الْعِيدُ فِي زَهَجِ
يَوْمٍ لِيُغَيِّرَكَ تَرْجُوهُ وَلَيْسَ لَهُ
قَدْ صَغَرَ الدَّهْرُ عِنْدِي كُلُّ ذِي خَطَرِ
إِذَا فُجِعْتُ بِمَفْقُودٍ صَبَرْتُ لَهُ
يَا مَنْ لَهُ مِنْهُ أَهْلٌ لَا جَزَعْتُ عَلَى
لَسْنَا نَعَزِّيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرَمَةً
لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ
وَالصَّبْرُ كَالصَّدْرِ رَحْبًا عِنْدَ صَاحِبِهِ
لِلَّهِ آيَةٌ عَيْنٌ غَيْرُ بَاكِيَةٍ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِمَّا قَدْ بُلِيَتْ بِهِ
حَاشَاكَ مِنْ خَطَّةٍ لِلْقَوْمِ بَاطِلَةٍ
فَالْحُلْمُ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ السُّورِ فِي بَلَدِ

فأجابه بقوله:

فَمَا الْبَقَاءُ وَإِنْ نَحْرَضَ بِمَحْمُودِ
فَمَا نُرْجِي بِإِهْلَالٍ وَتَعْيِيدِ
وَأَنْتِ أَذْرَى بِمَا يُعْنَى بِتَهْجِيدِ
غَيْرِ الْمُضِيِّ عَلَى فَقْدَانٍ مَفْقُودِ
وَهَلْ لِمَاءٍ وَطِينٍ غَيْرُ ذَا الْعِيدِ
حَتَّى تَجِيءَ بِكُمُ غَيْرُ مَعْدُودِ
أَهَا لَهَا إِلْفَةٌ تُغْرِي بِتَبْدِيدِ
وَفَتْحُهَا كَانَ حَتْفًا غَيْرَ مَحْجُودِ
لَكِنَّ آخِرَهَا إِخْفَاتُ مَجْهُودِ
إِلَّا لِيُخْرِبَهُ مِنْ دُونِ تَعْيِيدِ
مَا غَمُّ عَنَّا اشْتِرَاكَ لَفْظُ تَسْوِيدِ

مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلٍ دَهْرٌ تَنْكِيدِ
وَالْعِيدُ مَا اغْنَادَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ
بَلِ الْهَجُودُ مِنَ الْأَضْدَادِ صَارَ لَنَا
وَلَيْسَ فِي غَابِرٍ شَيْءٌ نُوْمَلُّهُ
نُمْسِي وَنُصْبِحُ وَالْأَكْدَارُ بَاقِيَةٌ
مَا تَنْقُضِي مِنْ بَلَايَا الدَّهْرِ وَاحِدَةً
أَلِفْتُ كُلَّ مُصَابٍ مِنْ تَبَدُّدِنَا
وَوَيْحَ قَلْبٍ مُعْنَى بِالْمُنَى كَمِدِ
هِيَ الْحَيَاةُ فَبِالْأَغْوَالِ أَوْلَاهَا
مَا إِنْ يُعَدَّدُ فِيهَا الْمَرْءُ مِنْ سَكَنِ
لَوْ كَانَ تَسْوِيدُهَا مَعْنَى نُحَقِّقُهُ

والريدُ مِنْ لُؤْمِهَا رِيْدٌ عَلَى الرِيْدِ
عَنْ صِدْقِ آجِلِهَا لَهَوًا بِمَوْجُودِ
أَلْفَيْتِ أَلْفًا لَهَا يَقْضِي بِتَرْهِيْدِ
فَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ يُوْهَمَلُ إِلَى الدُّوْدِ
لَوْ كَانَ وَرْدَ الْمَنَايَا غَيْرَ مُوْرِدِ
فَلْيُنْعَ قَبْلَ مَنَاهِ كُلِّ مَوْلُودِ
كَحَاسِدٍ كَانَ مَعْمُولًا لِمَحْسُودِ
وَقَدْ قَضَيْتُ لَهُمْ نَحْبِي وَتَعْدِيْدِي
عَلَيْهِ مِنْ دَخَلٍ إِغْفَاءٍ وَتَسْهِيدِ
وَكُلُّ شَجْوٍ بِهِ شَجْوِي وَتَنْكِيدِي
بِمَنْ فَقَدْتُ بِيَوْمٍ عِشْتُ مَوْعُودِ
أَبْيَاتِكَ الْغُرَّ مَلْحُودًا بِأَخْذِ
لَكِنَّ تَبَرَ طَنَاهَا جِدُّ مَنْشُودِ
وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهِ نَبْتُ تَجْدِيْدِ
يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا لِلْبُخْلِ وَالْجُودِ
بِأَنْ تَفُوزَ بِمَأْمُولٍ وَمَقْصُودِ

وَمَا تَرَاهَا لَدَى التَّحْقِيْقِ غَيْرُ تَرَى
فَمَا اللَّبِيْبُ مَنْ اسْتَغْوَاهُ عَاجِلُهَا
إِذَا بَدَأَ لَكَ مِنْ تَرْغِيْبِهَا سَبَبُ
لَا يَزْعُمُ الْغَافِلُونَ الْمَوْتَ مُغْفَلَهُمْ
لَعَلَّ يَنْفَعُ مَنْ يَرْجَى تَعَلَّتُهُ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِمَّا حَمَّ فِي أَجَلِ
وَعَامِلُ كَانَ مَعْمُولًا لِعَمَلْتِهِ
قَضَى الْأَوَّلَى لَهُمْ اسْتَوْحِشْتُ نَحْبَهُمْ
كَأَنَّمَا الْجَفْنُ يَحْمِي نَاطِرِي شَفَقًا
فَكُلُّ هَمٍّ بِهِ هَمٌّ يُوَرِّقُنِي
مَحْضَتْنِي يَا وَفِي الْعَهْدِ تَعَزِيَّةُ
وَعَلْتُ وَاللَّهِ أَدْرَى إِذْ دَرَيْتُ بِنَا
ذَكَتْ مَعَانِيهِ حَتَّى أَجَّ مُضَحَفُهَا
أَقْدِمُ بِهَا عَادَةً لِلدَّهْرِ ثَابِتَةً
يُصِيبُ فِيهِ الْخَوَارِزْمِيُّ وَاصِفُهُ
كَرُمْتَ يَا مَنْ تَحَرَّى الصَّبْرَ أَنْتَ حَرِّ

وامتدحه جرجس أبلًا من صيدا بقوله:

وَقَصَرَ فِي مَيْدَانِهِ كُلُّ رَامِحٍ
عَنَاءٌ وَمَا فِيهِ ارْتِيَا حُ لِطَامِحِ
فَنَاءُ الْبَقَا مَجْرَى الدُّمُوعِ السَّوَافِحِ
وَمَنْ هُوَ خَالٍ مِنْهُ لَيْسَ بِفَالِحِ
وَنُورَ الْمُحْيَا هِمَّتْ فِي ذِي الْمَلَايِحِ
وَنَصَبُوا لِتَغْرِيدِ الْقِمَارِيِّ الصَّوَاغِحِ
بِنَظْمِ إِمَامٍ لِلْفَضَائِلِ مَانِحِ
قَصَائِدُهُ تَبْكِي زَكِيَّ الرِّوَاغِحِ
فَأَضْحَى بِهِ أَهْلًا لِكُلِّ الْمَدَاغِحِ

بُحُورُ الْهَوَى قَدْ أَغْرَقَتْ كُلَّ سَابِحٍ
وَمَا الْحُبُّ سَهْلٌ لَوْ تَرَاهُ وَإِنَّمَا
جُنُونٌ وَعَقْلٌ لِلَّذِي يُبْتَلَى بِهِ
سَعِيدٌ شَقِيٌّ مَنْ غَدَا مُبْتَلَى بِهِ
فَلَوْ شِئْتَ مَنْ أَهْوَى وَضَوْءَ جَبِينِهِ
فَقَمِ أَيْهَا الصَّاحِي اسْقِنِي حَمْرَةَ اللَّمَى
أَهِيْمُ بِمَغْنَاهَا كَمَا بَتُّ هَائِمًا
لَبِيدٌ بَلِيدٌ عِنْدَهُ حَيْثُمَا غَدْتُ
نَصِيفٌ لِأَنَّ الدَّهْرَ أَنْصَفَنَا بِهِ

لَهُ الْعِلْمُ عَبْدٌ طَائِعٌ وَهُوَ سَيِّدٌ
حَمِيدُ الْمَزَايَا وَافِرُ الْعِلْمِ كَامِلٌ
لِذَا جَلَّ مِنْهُ الْوَصْفُ عَنْ كُلِّ قَائِحٍ
وَبَحْرُ بَيَانٍ مُغْرِقٌ كُلِّ سَابِحٍ

فأجابه بقوله:

مَدَامُ جَفَنِ الصَّبِّ إِحْدَى الْفَوَاضِحِ
وَمَنْ كَانَ مِنْهُ لَيْسَ يَمْلِكُ قَلْبَهُ
وَقَفْنَا عَلَى وَادِي الْغَضَا وَغُصُونُهُ
تَرَى كِلَالَ الْأُظْغَانِ بَيْنَ ضُلُوعِنَا
لِكُلِّ مُحِبٍّ فِي هَوَاهُ سَجِيَّةٌ
وَأَعْدَلُ أَهْلِ الْحُبِّ مَنْ لَيْسَ يَلْتَجِي
هَوَيْتُ الَّذِي أُعْطِيَ الْعُلُومَ فُؤَادَهُ
تَيَمَّنْتُ بِاسْمِ الْخَضِرِ فِيهِ وَطَالَمَا
وَجَدْتُ بِهِ بَلَّ مِنْهُ مُتَعَةً سَامِعٍ
بِهِ حَسَدَتْ عَيْنَايَ أَذْنِي وَرُبَّمَا
لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ عَلَى الصَّبَا
وَهَيْهَاتَ لَيْسَ السَّنُّ مَانِحَةَ النُّهَى
إِذَا تَمَّ فَاقَ الشَّمْسُ فِي غَرَّةِ الضُّحَى
لِكُلِّ حَدِيثٍ فِي الزَّمَانِ خَوَاتِمِ

فَيَا لَكَ سِرًّا وَاقِفًا تَحْتَ بَائِحٍ
أَيْمَلِكُ دَمْعًا سَافِحًا إِثْرَ طَافِحٍ
تَكَادُ لَوْجَدِي تَلْتَضِي مِنْ جَوَانِحِي
وَنَسْأَلُ عَنْهَا كُلُّ غَادٍ وَرَايِحٍ
وَلَكِنَّ مَا كُلُّ السَّجَايَا بِصَالِحٍ
إِلَى بَسِطِ عُذْرِ فِي مُلَاقَاةٍ نَاصِحٍ
فَأَعْطَتْهُ مِنْهَا سَانِحًا بَعْدَ بَارِحٍ
تَرَى الْمَرْءَ لَا يَخْلُو اسْمُهُ مِنْ لَوَائِحٍ
وَيَا حَبِّدَا لَوْ نِلْتُ رُؤْيَا لِمَحٍ
تُخَصِّصُ بِالْإِقْبَالِ بَعْضَ الْجَوَارِحِ
رَأَيْتُ بِهِ الْمَمْدُوحَ فِي ثَوْبٍ مَايَحٍ
لِمَنْ قَلْبُهُ بِالطَّبْعِ لَيْسَ بِمَانِحٍ
هَلَالٌ يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي سَعْدِ ذَائِحٍ
تَدُلُّ عَلَيْهَا مُحْكَمَاتُ الْفَوَاتِحِ

وكتب إليه محمد عاقل أفندي من الإسكندرية:

ثَمَرَةَ غُصْنِ بَرَاةٍ مَطْلَعِ الْأَدَبِ، وَحَبَّةَ حُسْنِ خِتَامِ يَرَاعِ مَجَامِعِ الْأَرْبِ، الْوَحِيدِ
الَّذِي دَلَّنَا شَذَا عَرَفِ نَافَةِ مِسْكِهِ، إِلَى تَيَقُّنِ عُلوِّ مَرْتَبَتِهِ قَبْلَ التَّحِيرِ فِي شَكِّهِ،
جَنَابِ الْمُحِبِّ الْأَعَزِّ، وَالْوَدُودِ الْأَمِيرِ؛ الشَّيْخِ نَاصِيفِ الْيَازْجِيِّ، نَالِ كُلِّ مَا يَرْتَجِي.
أَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ وَدَّ الْأَدَبِ حَمِيمٍ، وَلَوْ عَلَى السَّمَاعِ، وَجَامِعِ الظُّرْفِ زَعِيمٍ،
مَعَ تَبَايُنِ الْبِقَاعِ. وَقَدْ وَرَدَ لَنَا أَنْمُودُجُ دِيَوَانِكُمُ الْمُنِيفِ، وَنَمُونَةُ قَوْلِكُمُ اللَّطِيفِ،
فَاشْتَرَى حَبَّةَ الْقُلُوبِ فِي عُكَازِ بَيَانِهِ، وَسَلَبَ دُرَّةَ الْعُقُولِ بِسِحْرِ أَلْفَاظِ تَبْيَانِهِ،

وَأَسْتَخَفَّقَ طَيْرَ رُوحِ الشَّوْقِ لِلْحَوْمِ وَالانْقِضَاضِ عَلَى اقْتِنَاصِ فُرْصَةِ التَّعَارُفِ،
وَأَسْتَصَفَّقَ رَقَّ دَوْحِ النُّوقِ لِلسُّمُوِّ وَالانْخِفَاضِ عَلَى مَنَاصِ غَيْمَةِ التَّأَلُّفِ.
فَحَرَرْتُ هَذَا النَّمِيقَ، وَسَيَّرْتُ هَذَا التَّنْمِيقَ، مُدَيَّلًا بِعَاطِلَةٍ هِيَ لَكُمْ وَاصِلَةٌ، إِنَّ
اقْتَرَنْتَ بِالْقَبُولِ مَاسَتْ عَلَى أُمِّ الْحَجُولِ، وَأَرْدَفْتُهَا بِأُخْرَى مِنْ قَوْلِ الْأَمْجِدِ
الْأَفْخَمِ الْأَعَزِّ، سَعَادَةٌ حَمْدَ مُحَمَّدٍ أَفْنَدِي مُتَرَجِّمَ مَجْلِسِ الْأُورْنَاتُو بِالتَّغْرِ —
عسى بذلك نَنْتَظِمُ وَإِيَّاهُ فِي سِلْكٍ عِنْدَ مَحَاسِبِ السَّعَادَةِ، وَنَفُوزِ بِالتَّشْرِيفِ كَمَا
جَرَتْ بِهِ بَيْنَ الْأَدْبَاءِ الْعَادَةِ.

كاشف أفندي زاده

الفقيه محمد عاقل

للفقيه كاشف زاده محمد عاقل:

وَمَرَّتْ عِ الْغَيْدِ فِي قَلْبِي وَفِي فِكْرِي
فَارَعَى وَحَاذِرَ مِنَ النَّيْرَانِ وَالشَّرَرِ
رَقَّ الْغَرَامِ وَقِيدُ مُطْلَقِ الْخَفَرِ
فَمَوْتُ مِثْلِي مِنْ سَهْمٍ وَمِنْ وَتَرِ
وَالْحَنْفُ يَحْلُو بِسَيْفِ الطَّرْفِ وَالْحَوَرِ
قَدْ صَادَ فَيْكَ لُيُوثَ الْبَرِّ وَالْقَفْرِ
عَيْنَاهُ فِي هَجَرٍ لَيْلٍ طَالَ كَالشَّعْرِ
عَنِ الْوُجُودِ أَرَى رُؤْيَاكَ فِي سَهْرِي
وَالْحَزْمُ فِي الْوَجْدِ فَوْقَ الْحَزْمِ فِي الْخَطَرِ
فَعِزُّ ذُلِّ الْهَوَى عِزُّ بِلَا قَدَرِ
فِي حَنْدِسِ اللَّيْلِ ضَوْءُ فَاقٍ عَنْ قَمَرِ
مَا قَدْ يَرَى أَوْ يَلَاقِي طَرْفُهُ نَظْرِي
لِلْعَيْنِ عَيْنًا وَأَمْلًا كَوْبَةَ السَّمَرِ
يَجِدُ فِي السَّيْرِ نَحْوَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
فِي الْاِقْتِحَامِ وَيُعْزِي الْأَمْرَ لِلْقَدَرِ

مَعَالِمُ الصَّبْرِ دُونَ الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ
وَمَنْبَتُ الشَّيْخِ شَيْخِ الطَّبِّي أَفِيدَتِي
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتُ فِي حُرِّ تَمَلِّكُهُ
وَفَوْقَ اللَّحْظِ مِنْ جَفْنَيْكَ فِي كِبْدِي
فَمَا يَعْيشُ مَدَى الْأَيَّامِ ذُو نَفْسِ
أَيَّا غَزَالَ الْمَهَى بِاللَّهِ صِلْ دِنْفًا
وَسَامَرْتُهُ سَهَا الْأَفَاقِ مَذْ سَهْرَتِ
يَزِيدُ بِي الْوَجْدَ حَتَّى إِنْ يُغَيِّبَنِي
فَاخْزِمِ الرَّأْيَ إِشْغَافًا بِأُبْهَتِي
نَعَمْ وَإِنْ كَانَ ذُلُّ الْحُبِّ مَفْخَرَةً
كَمْ قَدْ أَبَيْتُ وَنَيْرَانُ الْفِرَاقِ لَهَا
أَقْلَبُ الطَّرْفِ فِي الْأَفَاقِ عَلَّ أَرَى
وَأَجْمَعُ الرَّأْيَ حَتَّى إِذَا أَخْيَلُهُ
فَصَيَّبُ الرَّأْيِ مَنْ إِنْ ضَلَّ رَأْيُهُ
وَأَجَبْنِ النَّاسَ مَنْ يَلُوي أَعْنَتَهُ

والحالُ قد حالَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ
طَبْعًا فَذَلَّتْ بَنَا الْأَعْلَامُ لِلْجَدْرِ
عَيْنُ الزَّمَانِ وَحِيدُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
فِي الظُّرْفِ عَنْ دُونِهَا يَا ضَيْعَةَ الْعُمَرِ
فِي طَالِعِ السَّعْدِ حَظًّا صَيْنَ عَنْ كَدْرِ
قَدْ عَرَفْتَنَا مَقَامَ الْغُصْنِ بِالثَّمَرِ
أَهْيَمُ فَالآنَ عِنْدِي صَادِقُ الْخَبَرِ
مُطَوَّلُ الْوَعْدِ فِي أَيَّامِ مُخْتَصِرِ
كُلِّ الْمَقَاصِدِ بِالْغَايَاتِ وَالْغَرَرِ
بِعَرَفِ مِسْكِ سَلَامٍ فَائِقِ عَطْرِ
تَفُوقُ فِي حُسْنِهَا مَنْظُومَةَ الدُّرَرِ
مِنْهُ إِلَيْنَا فَمَا خَيَّبَتْ فِي وَطَرِ
لَا عَيْبَ قَدْ صَدَّ قَبْلِي صَاحِبُ الْخَضِرِ
فَلَا يُعَابُ فَإِنَّ الْوَشْيَ لِلْخَبَرِ
لِتَخْطُبَ الْوَدَّ فَاظْلُبْ غَالِي الْمَهْرِ
ظَهَرَ الْمَطَايَا فَتَنْسَى أَهْبَةَ السَّفَرِ

مَا زِلْتُ أَتْبَعُ مَجْرَى سَيْلِ صَيِّبِهِ
حَتَّى ظَفَرْتُ بِأَبْيَاتٍ لَقَدْ نَشَرْتُ
أَنْعَمُ بِبَيْتِ قَصِيدِ الْمَجْدِ قَائِلُهَا
نَصِيفُنَا الْيَارَجِيُّ مَنْ نَالَ مَرْتَبَةَ
بُشْرَى لِبَيُورَتٍ قَدْ نَالَتْ بِبَهْجَتِهِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ هَذَا مَآثِرُهُ
أَوْ كُنْتُ قَبْلُ عَلَى عَشْقِ السَّمَاعِ بِهِ
أَعْلَلُ الْقَلْبَ بِاللُّقْيَا فَيَقْلِقُهُ
مَا أَقْصَرَ الْعُمَرُ إِنْ كَانَتْ مُعَلَّلَةً
فِيَا نَسِيمَ الصَّبَا وَافِيهِ بَاكِرَةً
وَبَلَّغِيهِ تَحِيَّاتٍ لَقَدْ نَثَرْتُ
فَإِنْ تَعُودِي بِنَشْرِ الطَّيِّبِ عَاطِرَةً
وَإِنْ يَمِلْ بِصُدُودٍ فَهُوَ فِي سَعَةٍ
وَخَاطِبِ الْخُودِ إِذْ مَا رَدَّ مُرْسَلُهُ
وَهَاكَ خَاطِبَةُ الْوَدِّ الْمَتِينِ أَتَتْ
فَمَا لَدَيْكَ سِوَى كَفِّ تَشَدُّ لَهُ

لحمد محمود أفندي:

عَنْ أَعْيُنِ الْغَيْدِ حَقَّقْ صِحَّةَ الْخَبَرِ
فَإِنْ قَدِمْتَ فُكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرِ
أَلَمْ تَكُنْ هِيَ إِلَّا اللَّمَحُ بِالْبَصَرِ
تَكَلَّفَ الشَّدَّ فِي قَوْسٍ وَفِي وَتَرِ
جُرْحُ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ عُضْوٍ وَلَمْ تَدْرِ
إِلَّا لِقْصِدِ خَفِي عَنْ أَعْيُنِ الْبَشَرِ
فَمَا تُشَاهِدُهَا إِلَّا عَلَى خَطَرِ
إِلَّا لِيَجْمَعَنَّ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالسَّحَرِ
مَا كُنْتُ أَخْشَى مِنَ الْخَطِيئَةِ السَّمَرِ

مُرَدَّدَ الظَّنِّ إِنَّ السَّحَرَ فِي النَّظَرِ
وَأَسْتَنْصَحَ الْعَقْلَ مِنْ قَبْلِ الْقُدُومِ لَهَا
فَإِنَّهَا أَسْهَمُ سَرَعَى إِذَا رُمِيَتْ
مَا هُنَّ أَسْهَمُكَ اللَّاتِي عَهَدَتْ بِهَا
هِيَ الْعُيُونُ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
تَعَوَّدَتْ فِي الْوَرَى أَمْرًا فَمَا التَّفَقُّتْ
تَرْنُو مَتَى أَبْصَرْتَ صَبًّا فَتَصُدَّعُهُ
هُنَّ النُّوَاهِدُ مَا فَرَّقَنَ مِنْ طُرُرِ
بَيْضٍ كَوَاعِبُ لَوْلَا سُودُ أَعْيُنِهَا

لَهَا لِفَتْكَ الْوَرَى نَوْعٌ مِنَ الْخَفْرِ
تَنْفِي الْإِبَاحَةِ إِذْ تُفْتِيكَ بِالْحَظْرِ
إِلَّا لِتَحْصَلَ مِنْ قَلْبِي عَلَى وَطْرِ
لَمْ يَنْطَبِقْ جَفْنُهَا إِلَّا عَلَى حَوْرِ
وَلَذَةُ النَّوْمِ تُنْسِي غَصَّةَ السَّهْرِ
كَأَنَّمَا الْمَوْتُ وَافَاهُ عَلَى قَدَرٍ
فَمَا تَبَدَّتْ لِطَرْفٍ قَطُّ ذِي قَدَرٍ
وَاشَوْهُ فِي نَقْلِهِ عَنْ رَبَّةِ الْحَبْرِ
مِنْ كَاذِبٍ كَأَمَانِي هَاجِعِ السَّمْرِ
حَقَّقَتْ أَبْصَرْتُهُ وَشَيْءًا عَلَى وَبَرٍ
يَرْضَى مِنَ الشَّيْءِ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
هَوَاكَ أَبْقَى وَدَعُ صِنَاعَةَ الْحَضْرِ
عَلَى نَصِيفٍ مَدِيحِي غَيْرَ مُحْتَصِرٍ
وَكَيْفَ تُنْكَرُ أَرْضُ طُلْعَةِ الْقَمَرِ
بِمَضْرِنَا فَعَرَفْنَا الْعُودَ بِالثَّمَرِ
أَظْفَرَ بِرُؤْيَيْتِهِ يَا ضِيْعَةَ الْعُمَرِ
فَمَتَّعُوا جُذْرَكُمْ مِنْ قَبْلُ بِالْخَفْرِ
إِلَّا لِتَرْمِي مِنَ الْأَشْوَاقِ بِالْشَّرِّ
وَارْعُوا زِمَامَ شَجِّ فَيْكُمْ عَلَى سَفَرٍ
وَرَابِحٌ مَنْ شَرَى الْأَلْبَابَ بِالْغَرِّ
سُدَّتُمْ عَلَى كُلِّ مُعْتَزٍّ وَمُفْتَخِرٍ
صَفَّتْ لِيَالِيَكُمْ مِنْ شَائِبِ الْكَدْرِ
فَإِنَّ بَذَرَ غُلَاهُ غَيْرُ مُسْتَتِيرٍ
تَجَنَّبْتُ مَا غَلَا مِنْ أَنْفَسِ الدُّرِّ

مِنْ كُلِّ فَاتِرَةِ الْأَجْفَانِ نَاشِطَةٍ
خَوْدٌ مُمْنَعَةٌ عَنْ خَمَرٍ مَبْسَمِهَا
عَلِيلَةُ الطَّرْفِ مَا صَحَتْ مَوَدَّتُهَا
نَوَامَةُ الْجَفْنِ مِنْ عَيْنِ الْمَهَى عُرِفَتْ
يُنْسِيكَ نَاعِسُهَا طَوْلَ السُّهَادِ بِهَا
يَرَى الْمُؤْمَلُ عَيْنَيْهَا فَتَضَرَّعُهُ
هِيَ الْمَهَى حُجِبَتْ عَنْ كُلِّ ذِي سَفَهٍ
يَا مُعْرِضًا عَنْ هَوَاهُ بِالَّذِي اقْتَرَفَتْ
تَجْفُو مُبَرَّأَةً مِمَّا بِهِ رُمِيَتْ
طَوَّأَ لَكَ الزُّورَ فِي وَشْيِ الْكَلَامِ وَإِنْ
وَأَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ إِنْ أُمَكَنْتَ فَرَصُ
فَالزَّمْ هَوَى الْغِيْدِ غِيْدَ الْبَيْدِ هُنَّ عَلَى
وَاقْصُرْ هَوَاكَ عَلَيْهَا مِثْلَ مُقْتَصِرِي
قَدْ حَلَّ بَيْرُوتَ لَكِنْ مِصْرُ تَعْرِفُهُ
ثِمَارُ فَضْلٍ أَتَتْ مِنْ دَوْحِ سُودِيهِ
إِنْ يَمْضُ دَهْرِي وَخَابَ الظَّنُّ فِيهِ وَلَمْ
يَا أَهْلَ بَيْرُوتَ إِنْ لَاقَيْتُمْ كَبِدِي
أَكْبَادُ أَهْلِ الْهَوَى حَرَّى وَمَا بَرُدَتْ
وَدُونَكُمْ حَرٌّ لُبِّي فَهُوَ رِقَّتُكُمْ
مَلَكْتُمُوهُ بِالْفَاطِ هُمْ غَرُّ
بِعِزِّ الْفَاطِ يَازَجِيكُمْ وَمَفْخَرِهِ
أَيَّامُكُمْ بِمَعَانِيهِ ازْدَهَتْ وَبِهِ
عَلَى سَنَى فَضْلِهِ طَيَّبُوا بِعَصْرِكُمْ
وَفِي ثَنَاهُ ازْتَضَوْا مِنِّي بِعَاطِلَةٍ

فقال في جواب الأول:

أَهْدَتْ لَنَا نَفَحَاتِ الرُّوْضِ فِي السَّحَرِ
خَاضَتْ إِلَيْنَا عِبَابَ الْبَحْرِ زَائِرَةً
كَرِيمَةً مِنْ كَرِيمٍ قَدْ أَتَتْ فَلَهَا
أَهْدَى إِلَيْنَا بِهَا رَبُّ الْقَرِيضِ كَمَا
مُحَمَّدُ الْعَاقِلُ الشَّهْمُ الَّذِي اسْتَهَرَتْ
فِي طَيْبِ مَجْلِسِهِ عِلْمٌ لِمُقْتَبِسٍ
رَحْبُ الدَّرَاعِ طَوِيلُ الْبَاعِ مُقْتَدِرٌ
كَأَنَّهُ النَّيْلُ فِي فَيْضٍ وَفِي سَعَةٍ
مَاضِي الْيَرَاعِ يُوْشِي الطُّرْسُ عَامِلُهُ
تَجْرِي عَلَى الصُّحُفِ الْأَقْلَامُ فِي يَدِهِ
أَصَبْتُ مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ لَجَّةً طَفَحَتْ
تَخَوُّضُ فِيهَا الْجَوَارِي الْمُنْشَأَتُ بِنَا
أَهْلًا بِزَائِرَةٍ غَرَاءَ قَدْ نَزَلَتْ
أَحْيَيْتُ كَلِيمَ فُوَادٍ لِي فَقُلْتُ لَهُ

خَرِيدَةً مِنْ ذَوَاتِ اللَّطْفِ وَالْخَفَرِ
فَلَيْسَ بَدْعٌ بِمَا أَهْدَتْ مِنَ الدَّرَرِ
حَقَّ الْكَرَامَةِ فَرَضًا عِنْدَ مُعْتَبِرٍ
أَهْدَى السَّحَابُ إِلَيْنَا عَارِضَ الْمَطَرِ
الطَّافُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
وَفِي رَسَائِلِهِ جَاءُ لِمُفْتَخِرٍ
قَدْ نَالَ أَسْرَارَهُ مِنْ فَضْلِ مُقْتَدِرٍ
لَكِنَّ مَوْرِدَهُ صَفْوٌ بِلَا كَدَرٍ
فَيَبْرُزُ الْحَبْرُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحَبْرِ
فَتُحَسِّنُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ
فَكُنْتُ مِنْ غَرَقٍ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ
مِنَ النَّهْيِ لَا مِنَ الْأَنْوَاحِ وَالْدُّسْرِ
فِي الْقَلْبِ مَرْفُوعَةً مِنْهُ عَلَى سَرَرٍ
أُوتَيْتَ سَوْكَ يَا مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

وقال في جواب الثاني:

رَبِيبَةً مِنْ ذَوَاتِ الْغَنَجِ وَالْحَوَرِ
قَدْ هَاجَتِ الشُّوقُ مِنِّي نَحْوَ مُرْسِلِهَا
أَهْدَى بِهَا حَمْدُ الْمَحْمُودِ مَكْرَمَةً
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي تَسْمُو مَوَاهِبُهُ
أَفَادَنِي مِنْ عَطَايَاهُ بِنَافِلَةٍ
خَيْرُ الْكَرَامِ الَّذِي يُعْطِيكَ مُبْتَدَأًا
اللَّوْذَعِيُّ الَّذِي فِي مِصْرَ مَجْلِسُهُ
جَهَادُهُ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ مُلْتَزِمٌ
قَدْ جَاءَنِي مَدْحُهُ عَفْوًا فَحَمَلَنِي

سَبَبْتُ فُوَادِي فَلَمْ تُبْقِي وَلَمْ تَذَرِ
فَأَصْبَحَ السَّمْعُ مَحْسُودًا مِنَ الْبَصَرِ
مِنْهُ فَكَانَ جَلِيلَ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ
عَنِ النَّضَارِ فَيُهْدِي أَنْفَسَ الدُّرَرِ
جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَا خَبَرٍ
وَأُبْهَجُ الرَّفْدِ رَفْدٌ غَيْرُ مُنْتَظَرٍ
وَنُكْرُهُ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ فِي سَفَرٍ
وَهُمُّ الدَّرْسِ فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ
شُكْرًا ثَقِيلًا عَظِيمَ الْقَدْرِ وَالْقَدَرِ

لَبِستُ حُلَّةً فَخَرِ مِنْهُ زَاهِرَةً بِالْحُسْنِ لَكِنَّهَا طَالَتْ عَلَى قِصْرِي
 رَأَيْتُ بَعَيْنَيْهِ أَبْيَاتٌ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي مَضَرٍّ كَالْحَشْفِ الْمَطْرُوحِ فِي هَجَرٍ
 هَاتِيكَ أَسْعَدُ أَبْيَاتٍ ظَفَرْتُ بِهَا فَإِنَّهَا جَعَلَتْنِي أَسْعَدَ الْبَشَرِ
 عَيْنٌ قَدْ اسْتَحْسَنْتُ مَرَأَى فَطَابَ لَهَا وَاللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّ الْعَيْنِ فِي الصُّورِ
 أَخَافُ إِنْ قُلْتُ لَمْ يَصْدُقْ لَهُ نَظَرٌ مَنْ كَانَ فِي كُلِّ أَمْرٍ صَادِقِ النَّظَرِ

وكتب إليه الشيخ عبد الرحمن الصوفي الزيلعي (من القاهرة):

إِنَّ أَبَدَعَ مَا تُحَدِّثُ بِهِ الْبَرَاعَةَ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنَامِلِ، وَأَبْرَعَ مَا سَجَعْتَ بِهِ فِي رِيَاضِ
 الطُّرُوسِ فَهَاجَتْ مِنْهُ الْبَلَابِلُ؛ سَلَامٌ تَتَأَرَّجُ الْأَرْجَاءُ بِعَرْفِ طَيْبِهِ، وَتَنْتَسِبُ
 الْأَدَابُ لِغَزَلِهِ وَنَسِيهِ، وَبَثُّ شَوْقٍ خَصْمُهُ أَلَدُّ، وَغَرِيمُهُ لَا يُرَدُّ، يُورِي أُوَارِي،
 وَيُوجِّجُ نَارَ تَذْكَارِي، أَهْدِيهِمَا لِحَدِيقَةِ الْأَدَابِ، وَنُورَ حَدَقَةِ أَعْيُنِ أُولِي الْأَلْبَابِ،
 خَزَانَةِ الْأَدَبِ، وَشُنُوفِ الذَّهَبِ، وَنَفْحَةِ الرِّيحَانَةِ، وَرَشْحَةِ طَلَا الْحَانَةِ، وَسُلَافَةِ
 الْعَصْرِ، وَبَيْتِمَةِ الدَّهْرِ، شَمْسِ اللَّطْفِ وَالْجَمَالِ، وَبَدْرِ الظُّرْفِ وَالْكَمَالِ، مَنْ
 تَزَمَّلَ بِالْمَعَارِفِ، وَتَدَثَّرَ بِاللِّطَائِفِ، الشَّيْخِ الْأَكْرَمِ، وَالشَّهْمِ الْأَفْحَمِ، مَنْ لَا أَسْمِيهِ؛
 تَكْرَمَةً لَهُ وَإِجْلَالًا. لَا زَالَ فِي عِزٍّ وَأَمَانٍ، مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ، مَا هَبَّ نَسِيمُ
 الصَّبَاحِ، وَتَذَكَّرَ مُشْتَاقَ عَهْدِ الْوُجُوهِ الصَّبَاحِ.

هذا والباعثُ لِتَحْرِيرِهِ، وَتَنْمِيقِهِ وَتَحْبِيرِهِ، مَحْضُ السُّؤَالِ عَنْ عَزِيزِ الْخَاطِرِ
 الْعَاطِرِ، وَالْمَزَاجِ الْبَاهِي الْبَاهِرِ، وَاللُّطْفِ الزَّاهِي الزَّاهِرِ. لَا زِلْتُمْ تَجْنُونَ مِنْ
 رِيَاضِ الْعِلْمِ ثِمَارَ الْمَعَارِفِ، وَتَرْفُلُونَ بِأَرْذِيَةِ اللَّطَائِفِ وَالْعَوَارِفِ. هَذَا وَنَعْرِفُ
 جَنَابَكُمْ الشَّرِيفَ بِأَنَّا قَدْ حَصَلَ لَنَا سُوءُ حَظٍّ مِنْ بَيْرُوتَ حِينَمَا تَوَجَّهْنَا إِلَيْهَا
 لِعَدَمِ التَّشْرِيفِ بِجَنَابِكُمْ الَّتِي كَانَتْ هِيَ غَايَةُ الْقَصْدِ وَالْمُرَادِ، وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ
 حَاضِرًا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَا فِي الْقُلُوبِ كَالْمَشَاهِدِ. وَلَا غَرَوْ مِنْ بُعْدِ
 الدِّيَارِ؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ تَنْظُرُ عَنْ بُعَادِ. هَذَا وَلِتَأْكِيدِ الْخُلُوصِ فِي الْمَحَبَّةِ الْبَهِيَّةِ،

بَادَرْنَا بِتَرْقِيمِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الثَّانِيَةِ، فَمَهْمَا لَزِمَ يَكُونُ أَسِيرُ الْإِشَارَةِ فَضْلًا عَنْ
صَرِيحِ الْعِبَارَةِ. وَدُمْنُمُ وَالسَّلَامُ.

الحب المخلص لكم
عبد الرحمن الصوفي الزيلعي
عُفِيَ عَنْهُ

يا فتاح:

وَحُزَّتْ كَمَالًا تَبْتَغِيهِ الْأَفْاضِلُ
لِكُلِّ مُلِمٍّ فِيهِ تُدْمَى الصِّيَاقِلُ
تَجِلُّ وَأَنْ قَدْ بَانَ مِنْهَا دَلَائِلُ
بَنَيْتَ لَهُ رُكْنًا لِيَرْجَعَ ثَاكِلُ
لَهُ جُمِعَتْ فِي الْمَكْرُمَاتِ الْفَضَائِلُ
تَطُولُ إِذَا مُدَّتْ وَإِنْ حَالَ حَائِلُ
أُولُو الْفَضْلِ فِيكُمْ وَالْكَرَامُ الْأَمْثِلُ
وَهَلْ غَيْرُكُمْ يُرْجَى وَأَنْتَ الْمَنَاهِلُ
لَهُ اللَّيْلُ وَجْهٌ وَالنُّجُومُ أَوَافِلُ
لِيَبْلُغَ مَا يَرْجُوهُ صَبٌّ وَسَائِلُ
لَأَنَّكَ مَأْمُولٌ وَمِثْلِي أَمَلُ
تُحَدِّثُ عَنْكُمْ لِلْأَنَامِ الْمَحَافِلُ
تَجِلُّ عَلَى مَنْ قَلَدَتْهُ الدَّوَابِلُ
كَخَرْدَلَةٍ مِمَّا تَنْتُهُ الْأَوَائِلُ
بِشَعْرِ وَقَالَ الشَّعْرُ عِنْدِي وَابِلُ
تَدِلُّ وَمِنْهَا الْقَوْلُ هَا أَنَا قَائِلُ
وَإِنْ هُوَ قَدْ عَانَتْهُ حَزْمٌ وَوَائِلُ
بَلَغْتَ مَقَامًا لَمْ تَنْلُهُ الْأَوَائِلُ

بَلَغْتَ مَقَامًا لَمْ تَنْلُهُ الْأَوَائِلُ
وَلَسْتُ بَرَاءً غَيْرَ فَضْلِكَ يُرْتَجَى
وَلَوْلَاكَ لَمْ تَدْرِ الْعُلُومُ بِأَنَّهَا
يَطُولُ لِسَانُ الْفَخْرِ فِي فَضْلِكَ الَّذِي
وَيَقْصُرُ بَاعُ الدَّهْرِ عَنْ وَصْفِ مَا جِدِ
فَيَا لَكَ مِنْ مَجْدٍ وَيَا لَهُ مِنْ يَدٍ
تَقَلَّدَتْ الْأَمَالَ فِيمَا تَقَلَّدَتْ
إِمَامُ الْوَرَى أُرْسِلْتَ لِلنَّاسِ قَائِدًا
وَكُلُّ مَرَامٍ لِلْأَنَامِ بِغَيْرِكُمْ
وَكُلُّ مُحِبٍّ سَارَ نَحْوَ وَصَالِكُمْ
يَفُوزُ بِمَا يَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ وَالْهَنَا
فَلَا زِلْتُ فِي حُلِّ الْفَضَائِلِ مُنْجِدًا
وَلَا زِلْتُ غَوْثًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً
وَكُلُّ تَنَاءٍ مِنْ أَسِيرِكَ قَدْ بَدَا
وَكُلُّ إِمَامٍ حَازَ فَضْلًا عَلَى الْوَرَى
وَأُظْهِرَ فِي دَعْوَاهُ جُلَّ دَلَائِلُ
لَمَا بَلَغَ الْمِغْشَارَ فِي حَضَرٍ وَصْفِكُمْ
وَهَا أَنَا ذَا الصُّوفِيِّ قَدْ قُلْتُ مُنْشَأً

فأجابه بقوله:

أَرَايَعَةُ تِلْكَ اللَّيَالِي الْأَوَائِلُ
أَوَانِسِ أُمِّ كَالْعَهْدِ هُنَّ جَوَافِلُ
تَحْلَى وَأَجْيَادُ لَهْنٍ عَوَاطِلُ
وَجَفْنُ الَّذِي أَهْوَاهُ بِالسُّهْدِ جَاهِلُ
فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَائِلُ
تَزُورُكَ أَوْ تَأْتِيكَ مِنْهَا رَسَائِلُ
لَهُ وَلَهَا حَقَّتْ عَلَيَّ فَوَاضِلُ
وَلَكِنَّهَا لِلْأُنْسِ عِنْدِي مَنَاهِلُ
كَمَا لَعِبْتُ بِالْمُعْرَبَاتِ الْعَوَامِلُ
تَلُوحُ عَلَى الصُّوفِيِّ مِنْهُ شَمَائِلُ
وَمَعْنَاهُ لَطْفًا فَهُوَ لِلْحُسْنِ شَامِلُ
مِنَ الْحَقِّ إِذْ قَامَتْ لَدَيْنَا الدَّلَائِلُ
وَكَيْفَ يُبَارِي فَارِسَ الْخَيْلِ رَاجِلُ
كَرِيمٌ إِلَى أَوْجِ الْكَرَامَةِ وَاصِلُ
بِذَاكَ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَهُوَ غَافِلُ
أَرَى سَوْءَةً لَوْ قُلْتُ ذَلِكَ بَاطِلُ
وَكَمْ مِنْ سُكُوتٍ قَدْ تَمَنَّاهُ قَائِلُ

مَنَازِلَ عَسْفَانَ فَدَتِكَ الْمَنَازِلُ
وَهَلْ ظَلِيَاتُ الْبَانَ قَدْ صَرَنَ بَعْدَنَا
أَلَيْسَ غَيْبِيًّا أَنَّ جِيدِي بِأَدْمُعِي
وَإِنِّي أَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَعْرِفُ الْكَرَى
إِذَا مَلَكَتْ أَيْدِي الْهَوَى قَلْبَ عَاشِقٍ
وَأَعَذَّبَ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ أَحِبَّةً
أَتَتْنِي بِلا وَعْدٍ رِسَالَةً فَاضِلُ
بُيُوتٍ مِنَ الْأَشْوَاقِ فِيهَا مَجَامِرُ
لَعِبْنُ بِقَلْبِي إِذْ حَلَلَنْ بِمَسْمَعِي
ذَكَرْتُ الْحَرِيرِيَّ الَّذِي الْيَوْمَ عِنْدَنَا
لَهُ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ الَّذِي طَابَ لَفْظُهُ
حَكَمْنَا لَهُ بِالْمَكْرُمَاتِ عَلَى هَدَى
سَبَقُوا إِلَى الْغَايَاتِ قَصَرْتُ دُونَهُ
تَفَضَّلَ بِالْمَدْحِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
وَأَتْنِي بِمَا فِيهِ فَكَانَ كَأَنَّهُ
ثَنَاءً أَرَاهُ بَاطِلًا غَيْرَ أَنَّنِي
فَأَسْكُتُ عَنْ هَذَا وَذَاكَ تَأَدُّبًا

وكتب إليه السيد حبيب البغدادي:

فَمَشَتْ بِهَا الْأَوْرَاقُ لِلْأَحْدَاقِ
خَطُّو الْيَرَاعِ وَسَاحَةُ الْأَوْرَاقِ
وَالسَّمْعُ بَابٌ وَلِيَجَةَ الْعُشَاقِ
نَاصِيفُ رَبِّ الْفَضْلِ وَالْأَعْرَاقِ
مَلَأَ النُّجُومُ صَحَائِفَ الْآفَاقِ
سَكِرَ النَّدِيمُ وَصَحَّ عَقْلُ السَّاقِي

بَثَّ الْمَشُوقُ سَرَائِرَ الْأَشْوَاقِ
نَابَ الْوِصَالُ إِلَى الْمَزَارِ إِذَا نَأَى
وَمَشُوقٌ سَمِعَ لَمْ يَمْتَعْ طَرْفُهُ
مِنْهَا سَلَكْتُ إِلَى الْعَلَاةِ فِي عُلا
مَلَأْتُ مَحَامِدُهُ الْمَسَامِعَ مِثْلَمَا
أَدَبُ إِذَا طَافَتْ كُثُوسُ عَقَارِهِ

ففيه تَرَنَّمْ كُلُّ شَادٍ نَاشِدٍ
فَذَكَرْتُ إِنْشَادَ الْبَلِيغِ وَشَوْقَهُ
وَشَكَرْتُ مِنْهُ مَنْ أَتَاكَ مُشْتَفَاً
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْفَيْلَسُوفُ وَمَنْ سَمَا
هُوَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ ذُو الطَّبِّ الَّذِي
فَبَعَثْنَاهَا عَذْرَاءَ أَمَّا طَرَفُهَا
تَرَنُّو بِإِنْسَانِ الْبَدِيعِ عُيُونُهَا
وَالْعَيْنُ يَصْغُرُ جَرْمُهَا لِكِنَّهَا
وَنَشَرْتُ وَدًّا قَدْ طَوَيْتُ سَوَادَهُ
لِقَلِيلِهَا مَعْنَى يُشِيرُ لِحَاقِ

وَتَغَنَّتِ الْوَرَقَاءُ فِي الْأُورَاقِ
لِرَسَائِلِ الصَّابِي أَبِي إِسْحَاقِ
أَذْنِي بِدُرِّ صِفَاتِ ذِي الْأَخْلَاقِ
فِي قَدْرِهِ كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ
أَمْسَى عَلَى أَفْلَاطِ نَجْمٍ مُحَاقِ
فَمِدَادُهَا وَالطَّرْسُ كَالْأَمَاقِ
لَجَالِ إِنْسَانِ الْجَمِيلِ الْبَاقِي
تَلْقَى بِهَا الدُّنْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
بِصَحِيفَةٍ هِيَ صَفْحَةُ الْأَشْوَاقِ
إِنَّ الْقَلِيلَ كِفَايَةُ الْحُذَاقِ

فأجابه بقوله:

فَعَلْتُ كَمَا فَعَلْتَ سُلَافُ السَّاقِي
لَبَسْتُ مِنَ الْوَشْيِ الْبَدِيعِ مَطَارِفًا
أَحْيَيْتُ بِزُورَتِهَا فُؤَادَ مُحِبِّهَا
بَعَثْتُ الْحَبِيبَ بِهَا إِلَيَّ حَبِيبَةً
مَكْنُونَةً أَخَذْتُ خُذُورَ صَحَائِفِ
أَلَقْتُ عَلَى بَصْرِي وَسَمْعِي صَبُوءَ
يَا سَيِّدَا مَلِكِ الْقُلُوبِ بِلُطْفِهِ
أَسْمَعْتُهَا نَظْمَ الْحَبِيبِ فَمَا دَرْتُ
قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ الْمَدِيحُ كَأَنَّهُ
مِنْ صَنْعَةِ الْأَقْلَامِ كَانَ طِرَازُهُ

هَيْفَاءُ تَحْكِي الْغُصْنَ فِي الْأُورَاقِ
وَلَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ حَبْكُ نِطَاقِ
مِثْلُ السَّلِيمِ أَتَاهُ نَفْتُ الرَّاقِي
هَاجَتْ إِلَيْهِ بِلَابِلُ الْأَشْوَاقِ
فَإِذَا بَدَتْ أَخَذْتُ خُذُورَ تِرَاقِ
فَكِلَاهُمَا مِنْ عُصْبَةِ الْعُشَاقِ
فَعَدْتُ رَقِيقَةً رَقَّةَ الْأَخْلَاقِ
أَحْبِيبُ طَيِّ أُمِّ حَبِيبِ عِرَاقِ
زَهْرٌ يَمُدُّ لِقْفَرَةَ بَرَوَاقِ
وِطْرَارُكُمْ مِنْ صَنْعَةِ الْخَلَاقِ

وكتب إلى محمد عاقل أفندي وحمد محمود أفندي (المذكورين آنفاً في الإسكندرية):

بَكَى حَتَّى بَكَيتُ عَلَى بُكَاهُ
يُسَائِلُ أَيْنَ حَلَّ رِكَابُ لَيْلَى
جَرِيحٌ عَيْنُهُ نَزَفَتْ دِمَاهُ
وَيَنْسَى أَنْ لَيْلَى فِي حَشَاهُ

هَوَى قَلْبُ تَعَلَّقَهُ اخْتِيَارًا
وَنَارُ الْحُبِّ يُوقِدُهَا غُرُورُ
تَنُودُ بِنَا الْعَوَاطِفُ رَاكِبَاتٍ
فَنَهْوَى مَنْ تَرَاهُ الْعَيْنُ طَوْرًا
هَوَيْتُ النَّازِلِينَ دِيَارِ مِصْرَ
هُمَا الْقَمَرَانِ فِي أَكْنَافِ أَرْضِ
كِلَا الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَفْرَادِ عَصْرِ
وَكُلُّهُمَا حُسَامٌ مَشْرِفِي
أَصَابَا كُلَّ مُحَمَدَةٍ وَفَضِلِ
فَذَاكَ مُحَمَّدٌ يُذْنِي جَمِيلًا
يَصُولُ يَرَاعُ كُلٌّ فِي يَدِيهِ
وَأَبْلَغَ مَا تُقَلِّبُهُ قُلُوبُ
أَطَاعَهُمَا الْقَرِيضُ فَكَانَ عَبْدًا
وَلَوْ عَرَفْتُهُمَا الْأَعْرَابُ قَدَمًا
عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ كُلِّ يَوْمٍ
لِئِنْ يَكُ فَاتَهَا جَبَلٌ فَفِيهَا
بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ عِلْمٍ وَجِلْمٍ
عَلَيْنَا قَامَ ظِلُّهُمَا مَدِيدًا
نَهِيمٌ إِلَى ضِفَافِ النَّيْلِ شَوْقًا
وَنَرُصُدُ كُلَّ غَادِيَةِ عَسَاهَا
هِيَ الدُّنْيَا تَغُرُّ بِهَا الْأَمَانِي
أَمَاتَتْ فِي هَوَاهَا كُلَّ نَفْسٍ
تَدُورُ بِنَا عَلَى عَجَلٍ رَحَاهَا
إِذَا غَرَسَ الْفَتَى فِيهَا رَجَاءً

فَصَارَ عَنْ اضْطِرَارٍ مُنْتَهَاهُ
وَلَكِنْ لَيْسَ يُخِمِدُهَا انْتِبَاهُ
طَرِيقًا لَا تُقِيمُ عَلَى هُدَاهُ
وَنَهْوَى تَارَةً مَنْ لَا تَرَاهُ
وَقَلْبِي قَدْ أَحَلَّهُمَا جِمَاهُ
يَغَارُ النَّجْمُ مِنْهَا فِي سَمَاهُ
يُقْصِرُ كُلُّ عَصْرٍ عَنْ مَدَاهُ
تَلُوحُ إِذَا اسْتَطِيرَ بِهِ الْمِيَاهُ
لَهُ بَيْنَ الْوَرَى شَرْفٌ وَجَاهُ
عَلَيْهِ وَذَاكَ مِنْ حَمْدٍ ثَنَاهُ
بِأَنْقَذَ مَا تَصُولُ بِهِ قَنَاهُ
وَأُفْصَحَ مَا تَفُوهُ بِهِ الشِّفَاهُ
بِأَسْهَارِ اللَّيَالِي مُشْتَرَاهُ
لَخَرَّتْ نَحْوَ شَعْرِهِمَا الْجِبَاهُ
سَلَامُ اللَّهِ مُعْتَنِقًا رِضَاهُ
جِبَالٌ فِي مَعَارِجِهَا يَتَاهُ
وَحَزْمٌ قَدْ أَقَامَهُمَا الْإِلَهُ
وَنُورُ الشَّمْسِ يَسْطَعُ مِنْ وَرَاهُ
وَإِنْ بَعْدَتْ عَلَيْنَا ضِفَّتَاهُ
تَرَشَّفَتِ الْمَوَاطِرُ مِنْ صَفَاهُ
وَأَيْنَ مِنَ الَّذِي غَرَّتْ مُنَاهُ
وَكُلُّ فُؤَادٍ صَبَّ فِي هَوَاهُ
وَدَاعِي الْمَوْتِ قَدْ دَارَتْ رَحَاهُ
فَلَا يَرْجُو الْحَيَاةَ إِلَى جَنَاهُ

فأجابه بهذه الأبيات:

وذا يا رُوحٌ من عُمرِي مُناه
لِكُلِّ طابٍ في الدُّنيا هَواه
وَجَدْتُ عَبِيرَ مَنْ أَهْوَى حِمَاهُ
أَسْهَوْا كَانَ ذَاكَ أَمْ انْتَبَاهُ
فَقَدْتُ رَسُولَ مَنْ أَهْوَى سِوَاهُ
شَفَاهُ الْحَمْدُ تَعَجَّرُ عَنْ أَدَاهُ
لَهَيْبِ الْحُبِّ فِي قَلْبِي أَرَاهُ
وَمَنْ أَهْوَى بِقَلْبِي حَلَّ هَا هُوَ
يَغَارُ النَّجْمُ مِنْهُ فِي سَمَاهُ
أَرَى كُلَّ اتِّصَالٍ مِنْ وَرَاهُ
لَأَنَّ بِمُهْجَتِي غَاصَتْ خُطَاهُ
فَأَدَّى مَهْرَهَا جُودٌ عِلَاهُ
نَصِيفَ الْيَارِجِيِّ لَدَى بَدَاهُ
لَقَلَّذِهِ الْحَمِيدُ وَصَاحِبَاهُ
وَرُوحُ الْجِسْمِ لِلْأَعْضَاءِ جَاهُ
وَالْمَظْرُوفُ ظَرْفُ مَا حَوَاهُ
وَهَلْ يَخْفَى عَنِ الرَّائِي ضِيَاهُ
تَلَا الْقَاصُونَ وَالِدَّانِي ثَنَاهُ
جَمِيعُ الْمَدَنِ ضَاءَ بِهَا بَهَا
فَبَحَرُ الْيَارِجِيِّ بِهِ السَّنَاهُ
وَمِنْكَ هَاكَ أَجْرَاهُ إِلَاهُ
إِلَيْنَا قَدْ تَنَاهَتْ ضِفَّتَاهُ
صِحَاحُ الْجَوْهَرِيِّ عَنْهُ رَوَاهُ
مَثِيلِي وَالْكَمَالُ لَهُ دَعَاهُ
وَنَوْلُ الشُّكْرَ أَعَجَزُ عَنْ سُدَاهُ
يَغُضُّ الطَّرْفُ عَنْ شَيْئٍ يَرَاهُ

نَسِيمُ الشَّامِ فَاحَ لَنَا شَذَاهُ
وَكَمْ فِي النَّاسِ أَهْوَاءٌ وَلَكِنْ
لِكَ الْبُشْرَى فَقَدْ وَافَى وَفِيهِ
عَهْدْتُ الدَّهْرُ يَمُطُّنِي بِقُصْدِي
هَوَى قَلْبِي هَوَى الْأَحْبَابِ لَمَّا
أَيَادِيهِ لَهَا عِنْدِي جَمِيلُ
أَلَيْسَ وَكُلَّمَا يَرْنُو يُزَكِّي
أَمِنْ عَجَبٍ عَشِيقْتُ عَلَى سَمَاعِ
خُذُوا الْمَرْأَةَ مِنْ قَلْبِي تَرَوْهُ
وَلِلْأَزْوَاجِ فِي الْمَعْنَى اجْتِمَاعُ
أَرَى وادي الْحَبِيبِ وَمَا رَأْنِي
خَطَبْتُ وَدَادَهُ بِالرُّوحِ مِنِّي
وَأُنْصَفَ بِالْكِتَابَةِ حَيْثُ يُدْعَى
فَرِيدٌ لَوْدَعِي لَوْ رَأَهُ
هُوَ الْمَعْنَى وَعَيْنُ الظَّرْفِ لَفُظُ
حَوَى كُلِّ الْكَمَالِ وَكُلُّ فَنٍ
تَرَاهُ فِي سَمَاءِ الشُّعْرِ شَمْسًا
سَرَتْ بِكَلَامِهِ الرُّكْبَانُ حَتَّى
فِيَا بَيْرُوتَ فِيكَ بَذْرُ مَجْدٍ
إِذَا مَا حُزْنَ مِثْلَ النَّيْلِ يَوْمًا
جَرَى عَذْبًا وَطَافَ الْأَرْضَ سَبْعًا
جَرَى بِضَفَائِفِ الْأَبَابِ حَتَّى
وَأَهْدَى مِنْ جُمانِ اللَّفْظِ مَعْنَى
وَحَمَلَنِي جَمِيلًا كُلَّ عَنْهُ
فَأَوْجَبَنِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ حَقًّا
سَرِيتَ بِإِثْرِهِ وَالظَّنُّ فِيهِ

وَمَبْدَأُ مَا أَقُولُ بِهِ ابْتِكَارًا لِعَيَرِي فِي سِوَاهُ مُنْتَهَاهُ

وكتب إليه الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري مفتي المنوفية والغربية بالديار المصرية:

بسم الله

حَمْدًا لِمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَفَنَّقَ رَتَقَ لِسَانِهِ بِرِقَائِقِ الْمَبَانِي
الْمُوشَّحَةِ بِدَقَائِقِ الْمَعَانِ، وَاسْتَخَرَجَ مِنْ مَعَادِنِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ إِبْرِيذَ أَفْصَحِ
اللُّغَاتِ، وَأَجَلَى عَرَائِسِ الْبَلَاغَةِ لِذَوِي الْفَصَاحَةِ فَأَمَاطُوا بِرَاقِعِ وَجُوهِهَا
السَّافِرَاتِ، وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى نَبِيِّ الْأُمَّةِ وَكَاشِفِ الْعُمَةِ الْقَائِلِ: «إِنَّ مِنْ
الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنْ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً» وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْ
كُلِّ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ. وَبَعْدُ، فَيَقُولُ فَقِيرٌ رَحِمَهُ رَبُّهُ، وَأَسِيرٌ وَصَمَةٌ ذَنْبِهِ،
عَبْدُ الْهَادِي نَجَا الْإِبْيَارِيِّ — عَمَّهُ اللَّهُ وَإِخْوَانُهُ بِلُطْفِهِ السَّارِيِّ: قَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى
دِيْوَانِ شَعْرِ شَاعِرِ الْقُطْرِ الشَّامِيِّ، الْهَمَامِ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ نَصِيفِ الْبَارِجِيِّ
الْمُتَارِّجِ عَرَفَ قَدْرِهِ السَّامِيِّ، فَوَجَدْتُهُ جَنَّةَ أَدَبٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، قَدْ أَيْنَعَتْ
فِيهِ غُصُونُ الْبَلَاغَةِ وَأَنْمَرَتْ، وَتَلَالَتْ فِيهِ نُجُومُ الْبَرَاةِ وَأَزْهَرَتْ؛ فَقُلْتُ مُطَرِّزًا
حُلَّتُهُ السُّنْدُسِيَّةَ، مُقَرِّطًا بِهِجَتَهُ السَّيِّيَّةَ:

هَكَذَا تُنْسَقُ اللَّالِي وَتُنْضَدُ
هَكَذَا هَكَذَا الْكَلَامُ كَلَامُ
صَدَّ أَهْلَ اللِّسَانِ حُسْنُ اخْتِرَاعِ
وَتَرَاءَى لَهُمْ مَنِّي بَرَقُ مَبْنَأِ
كُلِّ بَيْتٍ فِيهِ لِكُلِّ خَطِيبِ
إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَيَانُ الَّذِي أَعْجَزَ
غَزَلَ فِي حِمَاسَةٍ وَبَدِيعُ
هُوَ قَاضِي الْبَلَاغَةِ الْفَاضِلُ النَّدَّ
عَضْدُ الْفَضْلِ وَالْعِصَامُ الَّذِي اسْتَمَّ
مَلِكُ الْقَوْلِ مَنْ يَقْسُهُ بِقُسِّ

هَكَذَا تَجْمَعُ الْمَعَانِي وَتُخْشَدُ
صِيغَ دُرًّا بِفِكْرَةٍ تَوْقَدُ
مِنْهُ عَنْ مِثْلِهِ فَأَصْبَحَ مُفَرَّدُ
هُ فَخَرُوا لِحُسْنِ مَعْنَاهُ سَجْدُ
مُفْلَقَ سَجْدَةٍ مَتَى ظَلَّ يَنْشُدُ
كُلًّا عَنِ الْبَيَانِ وَأَقْعَدُ
فِي بَيَانٍ لِلَّهِ دُرٌّ مَنْ أَنْشَدُ
بُ الَّذِي ظَلَّ فِي الْمَعَارِفِ أَوْحَدُ
سَكَ شَخْصَ الْعُلَا بِهِ وَتَعَضَّدُ
فَهُوَ لَا شَكَّ فِي الْقِيَاسِ مُفَنَّدُ

تَ فَأَضَحَتْ تَتِيهُ فِي ثَوْبِ سُودَدٍ
مُدُنَ أَضْحَى لَعْمَرِي الْحَالِ يُشْهَدُ
يَتَحَدَّى بِمِثْلِ مُعْجَزِ أَحْمَدٍ
حَسَنَ سَمَطٍ مِنَ الْبَيَانِ وَمَهْدُ
كَانَ أَوْلَى بِفَضْلِ دِينَ مُحَمَّدٍ
بِ وَأَرْوَى إِظْمَاءَ مَنْ بَاتَ يَجْحَدُ
بِ وَإِنْ كَانَ الْعَقْلُ فِي الْأَمْرِ مَعْهَدُ
ءَ تَعَالَى عَنِ التَّوَلَّدِ سَرْمَدُ
لَا يُوَارَى وَحُسْنِ حَمْدٍ مُؤَبَّدُ

بِنَصِيفٍ قَدْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيَّرُو
وَلَكِنْ أَصْبَحَتْ تُفَاخِرُ كُلَّ الْ
مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ عَيْسَوِيًّا
نَظَمَ الدُّرَّ وَالْدَّرَارِي فِي أَحَدِ
الْمَعْيِي لَكِنَّهُ عَيْسَوِيٌّ
لَوْ تَرَوَى ارْتَوَى بِكَوْثَرِهِ الْعَدُ
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَلَا عُدُ
حُكْمَ مَوْلَى يَقْضِي عَلَيْنَا بِمَا شَا
دُمْ حَلِيفَ الْعُلَا نَصِيفٍ بِفَضْلِ

فقال يُجيبه:

أَفَقُ لَا تَقِفْ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالنُّبُلِ
فَيَا وَيْلَ عَبْدِ الْعَبْدِ ذُلٌّ عَلَى ذُلٍّ
وَتَضْحَكُ عَجَبًا مَقْلَتَاهَا عَلَى الْكُحْلِ
فَقَالَتْ جَرَتْ هَذِي السَّحَابَةُ بِالْوَبْلِ
بِمُعْتَدِلٍ لَا شَيْءَ فِيهِ مِنَ الْعَدْلِ
نِطَاقًا كَمَا يُسْتَبْدَلُ الْمِثْلُ بِالْمِثْلِ
لِخَوْفِ ذُبُولٍ قَدْ تَلَقَّتْهُ بِالظِّلِّ
عَلَى مِعْصَمِيهَا كَالْفِرْنِدِ عَلَى النَّصْلِ
تُعَدُّ وَلَا أَحْوَالُهَا مِنْ بَنِي ذُهَلٍ
وَلَا حَفِظْتَ مِنْهُمْ سِوَى النَّهْبِ وَالْقَتْلِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا عَاشِقًا قَبْلِي
فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْمَلَامَةِ وَالْعَذْلِ
لَبِنٌ رَضِيتَ قَلْبِي فَقَدْ زِدْتُهَا عَقْلِي
غَدَتْ مُهْجَتِي عَنْ كُلِّ ذَلِكَ فِي شُغْلٍ
وَمَا لَكَ رِقُّ الْعِلْمِ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ
سَلَامٌ عِدَادَ الْقَطْرِ أَوْ عِدَدَ الرَّمْلِ

تَقُولُ لِقَلْبِي رَبَّةُ الْأَعْيَنِ النُّجْلِ
قَدْ اسْتَعْبَدَتْهُ عَيْنُهَا وَهِيَ عَبْدَةٌ
فَتَاةٌ يَغَارُ الْعَقْدُ مِنْ حُسْنِ جِيدِهَا
بَكَيْتَ وَقَدْ أَرَحْتَ سُدُولَ قِنَاعِهَا
مُهِفْهَفَةُ الْأَعْطَافِ تَخْطُرُ كَالْقَنَا
تَكَادُ لِهَضْمِ الْكَشْحِ تَجْعَلُ عَقْدَهَا
أَسَالَتْ عَلَى وَرْدِ الْخُدُودِ ذُؤَابَةً
وَحَطَّتْ لِحُوفِ الْعَيْنِ بِالْوَشْمِ رُقِيَّةً
تَبَدَّتْ وَمَا أَعْمَامُهَا مِنْ قِضَاعَةٍ
وَمَا رَفَضَتْ مِنْهُمْ سِوَى الْجُودِ وَالْوَفَا
يَلُومُونَنِي أَنْ أَحْمِلَ الذَّلَّ فِي الْهَوَى
إِذَا لُمْتُ مَنْ لَا تَكْسِرُ الْقَيْدَ رَجُلُهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَوْرَ فَاتِنَتِي الَّتِي
وَأَشْكُرُ مَوْلَانَا الْكَرِيمَ الَّذِي بِهِ
إِمَامٌ مِنَ الْأَفْرَادِ قُطِبُ زَمَانِهِ
عَلَيْهِ مِنَ الْهَادِي الَّذِي هُوَ عَبْدُهُ

لَدَى رَبِّهِ قَدْ قَامَ بِالْفَرَضِ وَالنَّفْلِ
تَقُولُ رَسُولُ جَاءَ فِي فَتْرَةِ الرُّسُلِ
فُوَادِي كَفَيْضِ النِّيلِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِ
وَأَعَذَّبُ فِي الْأَفْوَاهِ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ
فَلَمْ أَسْتَطِعْ شُكْرًا عَلَى ذَلِكَ الْفَضْلِ
تَكَلَّفُ مِثْلَ الشَّيْخِ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِي
فَحَقَّ لَهُ التَّفْضِيلُ فِي الْأَسْمِ وَالْفِعْلِ
بِأَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْ مَدْرَجِ النَّمْلِ
لِذَاكَ قَدْ التَّفَتُّ وَسَارَتْ عَلَى مَهَلِ
فَكَانَ كَذَاكَ الصَّاعِ فِي ذَلِكَ الرَّحْلِ
جَمِيعًا كَمَا اشْتَقَّ الْغَرِيبُ إِلَى الْأَهْلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الْوَصْلِ

هُوَ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ الْعَامِلُ الَّذِي
إِذَا مَا رَقَى مَتَنَ الْمَنَابِرِ خَاطِبًا
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ أَحْيَى بِوَفْدِهِ
أَحَبُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لَحْنِ مَعْبِدِ
تَفَضَّلَ بِالْمَدْحِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
لَكِنَّ لَمْ يُصَبِّ ذَاكَ الثَّنَاءُ فَحَبَّذَا
لَكَ اللَّهُ يَا مَنْ جَلَّ ذِكْرًا وَمِنَّةً
وَيَا مَنْ تُلَبِّيهِ الْقَوَافِي مُغِيرَةً
إِلَيْكَ عَرُوسًا تَسْتَحْيِي مِنْكَ هَيْبَةً
قَدْ اسْتَوْدَعَتْ قَلْبِي الْكَلِيمَ وَمَا دَرْتُ
أَشَوْقُ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
وَإِنِّي لَأَرْضَى بِالْكِتَابِ عَلَى النَّوَى

وكتب إليه محمد عثمان أفندي من القاهرة:

كَمْ تَهْتُ فِيهِ وَكَمْ لَبِسْتُ شَفُوفًا
مُلِئْتُ بِقَدْرِ حُرُوفِهَا تَحْرِيفًا
سَلُّوا عَلَى قَطْعِ الرَّجَاءِ سُيُوفًا
وَأَصْدُ مَضْرُ لَأَجْلِهِمُ وَالرِّيفًا
صِدُّ مُنْصِفًا مِنْ أَهْلِهَا وَنَصِيفًا
وَسِعَ الْعُلُومَ بِخَطِّهِ تَأْلِيفًا
تَرَكْتُ حَرِيرِنَا يَبِيعُ الصُّوفًا
وَأَنَالُ مِنْ بَرَكَاتِهِ التَّشْرِيفًا

عَصْرُ الشَّبَابِ مَضَى وَكَانَ ظَرِيفًا
وَلَى وَأَبْقَانِي إِلَى الصُّحُفِ الَّتِي
فِي مَعْشَرٍ قُطِعُوا عَنِ الْحُسْنَى وَقَدْ
مَنْ لِي بِهَجْرَةِ أَحْمَدٍ فَأَصْدَهُمْ
وَالِى الشَّامِ أَشَدُّ رَاحِلَتِي وَأَقْفُ
الْبَارِزِجِيِّ الْحَبْرُ وَالْبَحْرُ الَّذِي
رَبُّ الْقَرِيضِ أَبُو الْمَقَامَاتِ الَّتِي
وَأَحْطُ أَحْمَالِي بِظِلِّ جَنَابِهِ

ولم نقف له على جواب.

وورد إليه من عبد الباقي أفندي العمريّ هذه الأبيات تقرّظًا على مقاماته مجمع البحرين، وهي قوله:

غَرَّرُ أَمْ دُرُّرُ مَكْنُونَةٌ
أَمْ غَوَانِي سَفْحَ لَبْنَانَ لِمَنْ
أَمْ دُمَى مِنْ قَصْرِ غَمْدَانَ لَنَا
هَامَ قَلْبِي بِمَعَانِيهَا كَمَا
أَمْ مَقَامَاتُ لِنَاصِيفٍ عَلَتْ
وَلَنَا أَوْرَاقُهَا مِنْ جِبْرِهَا
وَوَظَفَرْنَا إِذْ حَكَّتْ أَخْلَاقُهُ
وَتَرَاءَتْ بِحُلَى أَرْقَامِهَا
لَسْتُ أَدْرِي وَهِيَ الْعَنْقَاءُ مِنْ
قَدْ أَتَنَنْي تَتَقَاضَى دَيْنُهَا
بِمَرَايَاهَا الْعُقُولُ ارْتَسَمَتْ
وَتَجَلَّتْ صُورُ الْعِلْمِ بِهَا
وَعَلَى الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ مَعَا
رُحْتُ مِنْ رَاحَةِ مَعْنَاهَا وَمِنْ
يَا لِسْفَرٍ أَسْفَرَتْ أَلْفَاظُهَا
يَرْجِعُ الرَّاجِي مُجَارَاةً لَهُ
طَارَ فِي الْأَفَاقِ مِنْ خِفَّتِهِ
وَدَعَا الشَّيْخَ الْحَرِيرِيَّ مَعَ الْـ
بَيْنَ مَا قَدْ أَبْدَعَا فِيهِ وَمَا
قَرَّبَ الشَّاحِطُ مَنَا نَشْرَهُ
يَا لَهُ قَامُوسٍ فَضْلٍ قَدْ طَوَى

فِي عِبَابِ الْبَحْرِ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
حَلَّ بَغْدَادَ إِشَارَةً بِالْيَدَيْنِ
صَلَّتْ أَجْفَانُهَا ذَا شَفَرَتَيْنِ
هَامَ مِنْ قَبْلِي جَمِيلٌ بِبُتَيْنِ
وَأَنَارَتْ فَازْدَرَتْ بِالْفَرْقَدَيْنِ
أَبَدَتْ الْمِسْكَ بِصُخْفٍ مِنْ لُجَيْنِ
يَوْمَ وَافَقْنَا بِأَحَدَى الْحُسْنَيْنِ
فَتَذَكَّرْنَا لِيَالِي الرَّقْمَتَيْنِ
أَيْنَ جَاءَتْ وَهِيَ لَا تُعْزَى لِأَيْنِ
فَوَفَّتْ لِلْمَجْدِ عَنِّي كُلَّ دَيْنِ
فَمَحَتْ عَنْ عَيْنِ عَقْلِي كُلَّ غَيْنِ
فَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ كُلَّ رَيْنِ
طُبِعَتْ وَالطَّبْعُ مَشْغُوفٌ بِدَيْنِ
رُوحَ مَبْنَاهَا حَلِيفَ النَّشَاتَيْنِ
بَيْنَ أَفْقِيهِ سُفُورَ النَّيِّرَيْنِ
بَعْدَ مَحْضِ الْيَأْسِ فِي خُفْيِ حُنَيْنِ
بِالْمَعَانِي فَاسْتَحَفَّ الثَّقَلَيْنِ
هَمْدَانِي أَثَرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
بَيْنَ مَا أَنْشَأَهُ بَعْدَ الْمُشْرِفَيْنِ
فَطَوَى مَا بَيْنَنَا شَقَّةَ بَيْنِ
مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ

فأجابه بقوله:

أَسَأَلْتُ بَانَ الْجَزَعِ وَهُوَ يُصَفِّقُ كَيْفَ الثَّنِيَّةُ بَعْدَنَا وَالْأَبْرَقُ

وهل الأجارع أمطرت بعد النوى
يا جيرة الحي الذين تحملوا
أستغفر الله العظيم بأنني
ولقد بكيت على الديار فساءني
والدمع من بعض المياه قليله
هل مبلغ عني التجهية ظبية
تلقي معاطفها الغصون فتنتني
بدوية من آل مرة قد حلا
من حال وجنتها بلاء أسود
يا ذرة الغواص طي خبايها
لو تطبع الأحداق فيه رأيته
غلقت حصونك دون ممدود الهوى
إن لم تصب قدم إليك تطرقا
قد كان لي قلب قطار به الهوى
وجدت توقد في خلال أضالع
قد أيمن الصبر الذي أعدته
شوق يهيج إلى الذي ينسى به
العالم الصذر الكبير الشاعر الـ
علم يمد على العراق رواقه
أبقى له الباقي الذي هو عبده
منها الوداعة والزهادة والتقى
بذر بأفق الشرق لاح وضوءه
ما زال في شرف الكمال فلم يكن
هو ذلك الرجل الذي آثاره
وله الفتوح إذا تمرّد مارّد
تأتي نفائسه إلي سوابقا
ولعلها كالصبح يسبق شمسهُ

يوما وهل تلك الخمايل ثورق
ما كنت أحسب أننا نتفرق
فارتكك وبقيت حيا يرزق
دمع له سعة وطرف ضيق
يروى ولكن الكثير يغرق
عن مسك نكهتها اللطائم تفتق
خجلا وتلقاها النجوم فتخفق
نهب القلوب لها بطرف يسرق
من وشم بلجتها عدو أزرق
ويحي متى هذا الخباء يمزق
كالدرع من حدق إليه تحدق
لكن عن المقصور ليست تعلق
خوف الرقيب فللقلوب تطرق
فأنا بلا قلب أهيم وأعشق
قد كان يحرقها فصارت تحرق
للنائبات وركب شوقي مغرق
شوق الجمال الهائم المستغرق
فطن الشهير الكاتب المتأنق
وبه العواصم تستظل وجلق
شيما من الفاروق لا تتفرق
والعدل والحلم الذي لا يقلق
في الخافقين مغرب ومشرق
نقص ولا خسف به يتعلق
لا تقتفى وغباره لا يلحق
في كل مفضلة وعز الأبلق
وهو الذي في كل فضل يسبق
والشمس تدنو بعد ذاك فتشرق

سُرَّتْ بِرُؤْيَا خَطِّهِ الْعَيْنُ الَّتِي
أَثَرُ الْأَجْبَةِ يُسْتَلَذُّ بِهِ كَمَا
غَمَرَتْ فَوَائِدُهُ الْبَعِيدَ بَنِيْلَهَا
كَالْبَحْرِ يُهْدِي مِنْ جَوَاهِرِهِ إِلَى
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي مِنْ دُونِهِ
إِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْعَدْتَ عَنَّا نَازِحًا
أَتْنِي عَلَيْكَ كَأَنَّنِي مُتَفَضِّلٌ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَا نَطَقْتُ بِمَدْحِهِ

أَبَدًا لِرُؤْيَا وَجْهِهِ تَتَشَوَّقُ
يَلْتَذُّ وَسْنَانُ بِطِيفٍ يَطْرُقُ
مِثْلَ الْقَرِيبِ وَبِنِيْلَهَا يَتَدَفَّقُ
مَنْ لَا يَرَاهُ كَمَنْ بِهِ يَتَعَمَّقُ
طَبَقُ الْمَفَاوِزِ لَا السَّحَابُ الْمُطْبِقُ
فَالْبُعْدُ أَشْجَى لِلْقُلُوبِ وَأَشْوَقُ
وَلَكِ التَّفَضُّلُ عِنْدَ مَنْ يَتَحَقَّقُ
فَتَرَى بِمَاذَا كَانَ شِعْرِي يَنْطِقُ

وقال في رسالة إلى الشيخ إبراهيم الأحذب الطرابلسي:

بِكُلِّ ظَبْيَةٍ وَحِشٍ ظَبْيَةِ الْإِنْسِ
إِنْ كَانَ فِي الْجِدِّ وَالْعَيْنَيْنِ بَيْنَهُمَا
رَبِيبَةٌ مِنْ بَنِي الرِّيَانِ مُتَرْفَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ صَاغَ ذَاكَ الثَّغَرَ مِنْ بَرْدٍ
فَتَاكَةً اللَّحْظِ غَرَّتْنِي لَوَاحِظُهَا
تَبَيَّتْ فِي حَرَسٍ مِنْ لَحْظٍ عَاشِقُهَا
يَلُوحُ ضَوْءُ جَبِينٍ تَحْتَ طَرَّتِهَا
وَتَنْتَضِي السَّيْفُ مِنْ جَفْنٍ مَضَارِبُهُ
مَلِيحَةٌ قَصَرَتْ عَنْهَا الْحِسَانُ كَمَا
عَنْ بِلْدَةٍ زَانَهَا اللَّهُ الْعَلِيِّ بِمَا
أَنْشَأَ بِهَا كَنْزَ أَسْرَارِ لِسَائِلِهِ
قَضَاؤُ مُشْكِلَةٍ خَوَّاضُ مُعْضَلَةٍ
النَّاطِظُ النَّائِثُ الشَّهْمُ الْكَرِيمُ لَهُ
سَهْلُ الطَّبَاعِ سَلِيمُ الْقَلْبِ مِنْ وَضَرٍ
يَزِفُ مِنْ كَلِمٍ كَالدُّرِّ سَاطِعَةٍ
خَرَائِدُ مِنْ بَنَاتِ الْعُرْبِ قَدْ فُتِنَتْ
إِذَا أَفَاضَ لِسَانُ مِنْهُ فِي جَدَلٍ

مَاذَا نَعَادِلُ بَيْنَ الْعَفْوِ وَالْفَرَسِ
شَبَّهُ فَأَيْنَ جَمَالُ الثَّغْرِ وَاللَّعْسِ
تَرْنُو بِلَحْظٍ لِأُسْدِ الْغَابِ مُفْتَرِسِ
لَهَا وَالْهَبْ ذَاكَ الْخَدَّ بِالْقَبَسِ
لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا فَتْرَةَ النَّعْسِ
يَا وَيْحَهُ وَهُوَ مِنْهَا لَيْسَ فِي حَرَسِ
يَا لِلْعَجَابِ اجْتِمَاعُ الصُّبْحِ وَالْعَلَسِ
أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ فِي كَفِّ الْفَتَى الشَّرِسِ
قَدْ قَصَرَتْ كُلُّ مِضْرٍ عَنْ طَرَابُلُسَ
أَفَادَهَا مِنْ عَطَايَا رُوحِهِ الْقُدُسِ
أَشْفَى مِنَ الْمَطَرِ الْهَامِي عَلَى الْيَبَسِ
رَوَّاضُ مَسْأَلَةٍ مِنْ كُلِّ مُلْتَبِسِ
بِالْفَضْلِ يَشْهَدُ طِيبُ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ
صَافِي الصِّفَاتِ نَقِيُّ الْعَرَضِ مِنْ دَنَسِ
أُبْكَارَ فِكْرٍ كَضْوَى الصُّبْحِ مُنْبَجِسِ
بِحُسْنِهِنَّ بَنَاتُ التُّرْكِ وَالْفَرَسِ
مَضَى فَأَبْلَى لِسَانَ الْخَصْمِ بِالْخَرَسِ

وَلَا تَنَالُ عُلاَهُ كَفُّ مُلْتَمِسِ
وَذِكْرُهُ فِي حِمَانَا غَيْرُ مُنْدَرِسِ
فَنَظْرَةُ مَنْ كِتَابٍ مِنْكَ مُقْتَبَسِ

لَا يَصْطَلِي نَارَ إِبْرَاهِيمَ مُجْتَهِدُ
يَا غَائِبًا بَانَ عَنَّا غَيْرُ مُلْتَفِتِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ نَظْرَةً مِنْكُمْ أَفْوَزُ بِهَا

فأجابه بهذه الأبيات:

فَنَبَّهْتَنِي لِحُبِّ الْغَيْدِ بِالنَّعْسِ
أَمْسَى خَفِيرًا لَهَا مِنْ لَحْظِ مُخْتَلِسِ
هِنْدٍ عَنِ الْعُرْبِ فَاسْتَعْنَتْ عَنِ الْحَرَسِ
وَهَلْ تَنَالُ الثَّرِيًّا كَفُّ مُلْتَمِسِ
وَكَمْ مُحِبٍّ بِهَا ثَوْبُ السَّقَامِ كُسِي
وَمِنْ عَجِيبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي الْغَلَسِ
كَمْ يُحَاوِلُ بَرْدَ النَّارِ بِالْقَبَسِ
وَحَمَرَتْ وَجَنَةُ الصَّهْبَاءِ بِاللَّعَسِ
وَالْبَدْرُ تَحْتَ سَحَابٍ فِي الدُّجَى وَقَسِ
لِرَقْنَا حُسْنُهُ أَمْسَى أَبَا أَنْسِ
أَغْزَالَ نَاصِيفِ زَاكِي النَّفْسِ وَالنَّفْسِ
عَنِ الْقَدِيمِ فَبِتْنَا مِنْهُ فِي عُرْسِ
قَدْ اسْتَرْقَ مَعَانِيهِ بِلا هَوَسِ
بِهِ جَرَتْ مِنْ بَدِيعِ مِنْهُ مُنْبَجِسِ
إِذْ رَاضٍ كُلُّ أَبِيِّ الْمُلتَقَى شَمْسِ
قَدْ جَلَّ تَثْمِينُ دُرٍّ مِنْهُ مُلْتَمِسِ
بِجِدِّ كُلِّ حَلِيمِ الطَّبِيعِ أَوْ شَرِسِ
تَوَجَّيْهُهُ لِلْمَعَانِي غَيْرُ مُنْعَكِسِ
أَبْيَاتُهَا لِغَوَانِي الْحُسْنِ كَالْكُنُسِ
جَرَى السَّلَامَةِ فِي أَعْضَاءِ مُنْعَكِسِ
وَكَمْ حَبِيبٍ تَمَادَى عَهْدُهُ فَنُسِي
سِوَاكَ يَسْمُو بِهَا فِي الْعُرْبِ وَالْفُرْسِ

قَدْ غَاظَلْتَنِي مَهَاةُ السَّرْبِ وَالْأَنْسِ
وَالْبَسَتْ وَجَنَتَيْهَا لِلْوَرَى خَفَرًا
تُرْكِيَّةُ خَدَّهَا الْقَانِي حَمَتُهُ ظَبَى
لَمْ يَلْمِسِ الْقِرْطَ مِنْهَا كَفُّ عَاشِقِهَا
تَحَوُّكَ بِالْغَزْلِ ثَوْبُ السُّقْمِ مُقْلَتُهَا
قَدْ أَطْلَعَتْ عَيْنَ شَمْسٍ سَيْنُ طَرَّتِهَا
حَاوَلْتُ بَرْدَ الْحَشَى مِنْ نَارٍ وَجَنَتِهَا
عَلَى الْأَقَاحِي ثَنَائَا نَغْرِهَا ضَجَّكَتْ
أَجَلُ عُيُونِكَ فِي مَا تَحْتَ بُرْقُعِهَا
أَخُو الْحُسَيْنِ لَهَا الْوَجْهَ الْبَدِيعُ كَمَا
لَمْ يُنْصِفِ الشَّعْرُ فِيهَا إِنْ تَقَاصَرَ عَنْ
فَرِيدٍ عَصُرَ غَنِينَا بِالْحَدِيثِ لَهُ
قَدْ حَرَّرَ اللَّفْظُ فِي سَوْقِ الرَّقِيقِ إِذَا
أَزْهَى وَأَزْهَرَ مِنْ طَرَسِ أَنْامِلِهِ
شَمْسُ الْمَعَانِي بِأَفْقِ الشَّعْرِ مِنْهُ بَدَتْ
فَرْدُ تَرَى مِنْهُ سَبْعًا فِي الْبَيَانِ كَمَا
لَهُ قَلَائِدُ صَاغَتْهَا قَرِيحَتُهُ
لَهَا أَطْرَادُ بَتْفَوَيْفِ الْبَدِيعِ يَرَى
يَصْبُو إِلَيْهَا أَبُو إِسْحَقَ حَيْثُ غَدَتْ
تَجْرِي بِأَسْمَاعٍ مَنْ يُصْغِي لِمُنْشِدِهَا
عَلَى تَمَادِي عُهُودِي قَدْ تَذَكَّرْنِي
مَا أَنْصَفْتُكَ أَبَا نَاصِيفِ مَرْتَبَةِ

وَأَفَتَ رَبِّبْتُكَ الْعَذْرَا إِلَيَّ ضُحَى
وَقَدْ أَتْتَنِي وَرَهْنُ الشُّعْرِ أَغْلَفُهُ
فَخُذْ لَهَا نَحْلَةً آيَاتُهَا عَلِمَتْ
وَلَا تُعِزْ لِسِوَاهَا مِنْكَ مُسْتَمَعًا
تَرْنُو بِلَحْظٍ لِأُسْدِ الْغَابِ مَفْتَرِسِ
فَقَدْ الْمُفَرَّقُ بَيْنَ الْعِيرِ وَالْفَرَسِ
مَا الْفَرَقُ بَيْنَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ وَالْقَبَسِ
فَهَيَّ الْمَثَانِي وَصَوْتُ الْغَيْرِ كَالْجَرَسِ

وكان بعض الأصحاب قد استنكر من بعض ما في قصيدة الشيخ عبد الهادي الدالية المذكورة آنفاً، فردَّ عليه ردًّا عنيفاً.

وكان ذلك بغير إذن الشيخ ناصيف، فكتب إليه يستعطفه بهذه الأبيات:

قَفْ بِالْدِّيَارِ إِذَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ سَجَا
تَرَى الصَّوَارِمَ شُهْبًا تَسْتَضِيءُ بِهَا
يَا دَارَ مَيَّةَ حَيَاكِ الْحَيَاءِ وَإِنْ
إِنْ يَمْنَعُ الْقَوْمُ الْإِمَامِي فَمَا مَنَعُوا
لِي فِيكَ فِتْنَانَةً لَمْ الْعَذُولُ بِهَا
أَجَلَلْتُ عَيْنَيَّ كِبَرًا بَعْدَ رُؤْيَيْهَا
خُودُ لَهَا طِيبُ أَنْفَاسٍ إِذَا ارْتَجَزَتْ
مَعْسُولَةُ التَّغْرِ فِي لَأَلَانِهِ فَلَجَّ
شَكْوَتْ مِنْ ضَيْقِ تِلْكَ الْعَيْنِ ظَالِمَةً
وَإِنْ أَرَدْتَ نَجَاةَ الرَّأْيِ مِنْ سَفَاهِهِ
ذَاكَ الَّذِي لَا يَرُوعُ الْوُجْدُ مُهْجَتَهُ
ذَاكَ الْمُحِبُّ بَيَاضَ الصُّخْفِ لَا نَعَجَا
ذَاكَ الْإِمَامُ الْحَصِيفُ الْكَامِلُ الْعِلْمِ الـ
مُسْتَجْمَعُ الْفَضْلِ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ
هَانَتْ عَلَى قَلْبِهِ الْآيَامُ صَاغِرَةً
فَلَا تَرَاهُ لَدَى الْإِسَارِ مُبْتَهَجًا
وَدَاعَةً فِي وَقَارِ عَزِّ جَانِبُهُ
وَهَمَّةٌ مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ قَدْ أَخَذَتْ
الشَّاعِرُ النَّائِرُ الْمُهْدِي لَنَا غُرًّا
وَقُلْ طَرِيدٌ إِلَى نَارِ الْفَرِيقِ لَجَا
فَإِنْ بَدَتْ مَيَّةٌ فَالْصُّبْحُ قَدْ بَلَجَا
لَمْ تَرْتَشِفْ مِنْكَ قَطْرًا يُنْعِشُ الْمُهْجَا
أَنْ أَنْظَرَ الْحَيَّ أَوْ أَسْتَنْشِقَ الْأَرْجَا
جَهْلًا فَقُلْتُ هُوَ الْأَعْمَى فَلَا حَرْجَا
عَنْ رُؤْيَا الْغَيْرِ حَتَّى الْبَدَرُ جَنَحَ دُجَى
غَنَّتْ لَهَا الْوُرُقُ فِي عِيدَانِهَا هَزَجَا
دَمَعِي النَّضِيدُ يُبَاهِي ذَلِكَ الْفَلَجَا
قَالَتْ إِذَا اشْتَدَّ ضَيْقُ فَاَنْتَظِرْ فَرَجَا
فَاذْهَبْ وَنَادِ بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا ابْنَ نَجَا
وَلَا يُنَاطِرُ طَرْفًا لِلْمَهَى غَنَجَا
فِي عَارِضٍ وَسَوَادِ الْحَبْرِ لَا الدَّعَجَا
فَقَرْدُ الَّذِي لَا تَرَى فِي خَلْقِهِ عَوَجَا
تَأَلَّفَا فِيهِ كَالْبَحْرَيْنِ قَدْ مُرَجَا
إِذْ كَانَ يَعْرِفُ مَا فِي طَيِّهَا دُرَجَا
وَلَا تَرَاهُ لَدَى الْإِعْسَارِ مُنْزَعَجَا
كَالْمَاءِ بِالرَّاحِ فِي الْأَقْدَاحِ قَدْ مُزَجَا
سَبَعَ الطَّبَاقِ إِلَى مُحْرَابِهَا دَرَجَا
وَالخَاطِبُ الْكَاتِبُ الْمُنْشِي لَنَا بَهَجَا

فَتِلْكَ بِيضُ خُذُورٍ تَلْبِسُ السَّبْحَا
كَالْبَدْرِ مِنْ مَشْرِقِ الْأَفْلَاكِ قَدْ خَرَجَا
وَلَفْظُهُ فِي صُدُورِ الْحَاسِدِينَ شَجَا
وِظْلُهُ فِي رُبَى لُبْنَانَ قَدْ نُسِجَا
فَصَارَ آخِرُ يَسْقِي أَرْضَنَا خَلَجَا
لَكِنَّ قَلْبِي قَضَى فِي خَيْفِهَا حَجَبَا
فَطَالَمَا جَاءَ مِنْكَ الْخَيْرُ مُزْدَوِجَا

تَدْبِجُ الصُّخْفَ بِالْأَقْلَامِ رَاحَتُهُ
قَدْ أَزْهَرَ الْأَزْهَرَ الضَّاحِي بِطَلْعَتِهِ
لِقَاؤُهُ فِي عُيُونِ الْكَاشِحِينَ قَذَى
طَوْدُ تَرَى فِي ضَوَاحِي مِصْرَ مَوْقِفُهُ
عَهْدِي بِهَا الذِّلَّ يَسْقِي رَيْفَهَا تَرَعَا
يَا كَعْبَةَ الْعِلْمِ لَمْ تَحْجُجْ لَهَا قَدَمِي
إِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ مِنْكَ الْخَيْرُ مُنْفَرِدَا

فحضر منه جواب بهذه الصورة:

نَعِيمُ فُؤَادِي، وَغَايَةُ مُرَادِي، لَمَّا وَصَلَتْ قَصِيدَةُ حَضْرَتِكُمْ اللَّامِيَّةِ بَادَرْنَا بِإِرْسَالِ
جَوَابِهَا لِإِسَاحَتِكُمْ الْحَاتِمِيَّةِ، وَهُوَ هَذَا:

فَكَمْ أَرْشَقْتَ بِالصَّبِّ نَبِلًا عَلَى نَبْلِ
لَعْمُرِكَ مَا شَاءَتْ مِنَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ
فُؤَادِ فَأَمْسَى فِي عِيَاءٍ وَفِي شُغْلِ
سَقِيمَاتِهَا أَثْوَابَ سَقَمٍ مِنَ الْغَزْلِ
هَوَاهَا بِقَلْبٍ لَمْ تُكَبِّلْهُ مِنْ قَبْلِ
وَقَدْ أَدْرَكْتَهُ خَجَلَةُ الْفَلِّ وَالْكَلِّ
وَلَكِنَّهُ سِحْرٌ يَجْرُ إِلَى السَّلِّ
فَأَيَّتُهُ الْبَيْضَا السَّوَادُ مِنَ الْكُحْلِ
تَرِ السَّيْفَ فِيهَا وَالْهَوَى سَابِقَ الْعَدْلِ
مَصَارِعُ جَدٍّ فِي مَكَامِنَ مِنْ هَزْلِ
إِلَى بَطْلٍ بَلْ مَنْ لَوَى عَنْ هَرَى النُّجْلِ
قَرِيبًا وَيُقْصِيهَا الدَّلَالُ عَنِ الْخَلِّ
رُضَابًا وَجِيدًا وَاعْتَدَالًا بِلا عَدْلِ
لِتَنَادَ مِنْ مَرِّ النَّسَايِمِ فِي الْأُصْلِ
وَنَظْمُ الْفَتَى نَاصِيفٍ فِي الْحُسْنِ وَالشَّكْلِ

خُذُوا جَذْرَكُمْ مِنْ نَظَرَةِ الْحَدَقِ النَّجْلِ
مَتَى أُمَكْنْتُ قَلْبَ امْرِءٍ فَعَلْتُ بِهِ
وَمَهْمَا رَنْتَ أَوْرْتَ زِنَادَ الْغَرَامِ فِي الْـ
وَأِنْ غَزَلْتَ أَلْحَاطُهَا نَسَجَتْ لَنَا
وَأِنْ نَعِسْتَ أَجْفَانُهَا أَيْقَظَتْ أَسَى
لَقَدْ شَبَّهَوَهَا بِالْمُهَنْدِ فَاثْنَى
وَقَالُوا بِهَا سُكْرٌ فَقُلْتُ غَلِطْتُمْ
لَيْنَ أَنْكَرَ الْعُدَّالُ سِحْرَ جُفُونِهَا
تَأَمَّلْ عَذُولِي فِي رَقَائِقِ هَذِبِهَا
فَلَا تَقْفَنْ حَيْثُ الْعُيُونُ فَإِنَّهَا
وَمَا بَطُلَ مَنْ قَامَ وَالْحَرْبُ قَائِمٌ
بِنَفْسِي لَعُوبًا بِالْعُقُولِ تَخَالُهَا
لَهَا مَا لِعُصْنِ الْبَانَ وَالرَّيْمِ وَالطَّلَا
تَمِيسُ فَتَزْرِي بِالْقَنَاءِ وَإِنَّهَا
فَتَاةٌ تَسَاوَى ثَغْرِهَا وَعُقُودُهَا

حَسَانِ الْمَعَانِي لَا الْحَسَانَ مِنَ النُّجْلِ
وَنَيْلِ الْعُلَا شُغْلٌ عَظِيمٌ عَنِ الشُّغْلِ
تُرِيكَ الثَّرِيَا كَالشُّرَاكِ مِنَ النَّعْلِ
وَأَعْدَمُهُمْ فِي الْفَضْلِ لِلنَّدِ وَالْمِثْلِ
فَتُفْصِحُ عَنْ سِرِّ الْبَلَاغَةِ بِالْفَضْلِ
شِفَاءً لِمُعْتَلِّ الْفُؤَادِ مِنَ الْجَهْلِ
بِأَوْجَزِ لَفْظٍ فِي عِبَارَتِهِ جَزَلٍ
وَفِي نَثَرِهَا سِحْرٌ يُخَامِرُ بِالْعَقْلِ
وَمَا نَثَرْتُ إِلَّا كَوَاكِبَ مِنْ قَوْلٍ
فَلَيْسَ مِنَ الدَّعْوَى لَعْمَرِي فِي حِلٍّ
بِأَنْقَذَ مِنْ نَبْلِ وَأَنْشَبَ مِنْ نَضِلٍ
مَعَ الْحِلْمِ وَالْمَعْرِوفِ وَالْبَاسِ وَالْعَقْلِ
فَعَدَّلَهَا بِالْعَدْلِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتِيهِ مِنَ الْبُخْلِ
تَمَدُّ بِحُورٍ بِالْمَوَاهِبِ وَالْبَدْلِ
أَجَلُّكَ قَدْرًا أَنْ تَعَارِضَ مِنْ مِثْلِي
كَبَا بِي جَوَادُ الْفِكْرِ فِي حَلْبَةِ الْقَوْلِ
أَخُو عَرَجٍ فِي السَّبْقِ بِالسَّالِمِ الرَّجْلِ
وَالَا فَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بِالرُّسْلِ

هَمَامٌ لَهُ لَهُوَ بِكَشْفِ الْقِنَاعِ عَنْ
لَهُ بِاِكْتِسَابِ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ وَالثَّنَا
بِعَزْمٍ يُرِيكَ الْعَضْبَ قَضْبًا وَهَمَّةٍ
أَجَلُ الْوَرَى قَدْرًا وَأَطْوَلُهُمْ يَدًا
بِرَاعَتُهُ يُوجِي إِلَيْهَا ضَمِيرُهُ
تُبَيِّنُ مِنْ سِحْرِ الْبَيَانِ بَدَائِعًا
وَتُفْصِحُ عَنْ سِرِّ الْبَلَاغَةِ وَالزُّكَا
فَفِي نَظْمِهَا دُرٌّ تَبَاعُ بِهِ النُّهَى
فَمَا نَظَّمْتُ إِلَّا فَرَائِدَ لَوْلِي
إِذَا مَا ادَّعَى شَخْصٌ سِوَاهُ مَكَارِمًا
نَوَاصِي عَوَادِي الدَّهْرِ تَرْمِي مِنْ اسْمِهِ
تَرْكَبُ تَرْكِيْبَ الطُّبَاعِ بِهِ النَّدَى
وَوَاقِي الْعُلَا مِنْ بَعْدِ طَوْلٍ تَأْوِي
يَرَى أَنَّهُ لَيْسَتْ تَتِمُّ طَهَارَةٌ
فَمِنْ كَفِّهِ بَلْ كُلُّ أَنْمَلَةٍ لَهُ
أَقْرَّةٌ عَيْنِ الْمَجْدِ عُذْرًا فَإِنِّي
وَإِنِّي وَإِنْ جَارَيْتَ مِثْلَكَ غَرَّةً
مَتَى طَاوَلَ الْعُصْفُورُ نَسْرًا أَوْ اسْتَوَى
فَإِنْ تَقْتَنِعَ مِنِّي عَلَى قَدْرِ مَا تَرَى

وَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَإِذَا بِهَلَالٍ قَصِيدَةٍ حَضَرَتْكُمْ الْجِيْمِيَّةَ سَفَرٍ،
فَرَأَيْتُ أَنْ أَقْدَمَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قِيَامًا بِالْوَجِبِ عَلَيَّ وَإِنْفَاقًا عَلَى قَدْرِ مَالِي،
وَلِيَعْرِفَ الْهَمَامُ عَجْزِي فَيُكَاتِبُنِي عَلَى قَدْرِ حَالِي. وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ أَوْبَتِي مِنْ
رَحْلَتِي أَقْدَمُ لَأَعْتَابِكَ جَوَابَ الْجِيْمِيَّةِ. وَدُمْتُ بِحِفْظِ بَارِي الْبَرِيَّةِ.

عبد الهادي نجا
عُفِيَ عَنْهُ

وورد منه مع هذه الرسالة رسالة وقصيدة أخرى (بهذه الصورة):

أَيُّهَا الْعَلَمُ الَّذِي جَاوَزَ بَنْدُ فَضْلِهِ عَنَانَ الْمَجَرَّةِ، وَطَارَ صَيْتُهُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى
أَوْقَفَ النَّسْرَ الطَّائِرَ وَأَوْقَعَهُ فِي صَرَّةٍ، وَالشَّهْمُ الَّذِي صَيَّرَ السَّمَاءَ الْأَعَزَلَ
عَنْ رُتْبَتِهِ أَعَزَلَ، وَجَعَلَ فِي فُنُونِ الْبَلَاغَةِ قَلَمَ كُلِّ بَلِيغٍ مَغْزَلًا. إِنَّ شَوْقِي إِلَى
اجْتِلَاءِ بَدْرِ طُلُوعِكَ الْبَاهِرِ، وَاجْتِنَاءِ ثَمَرِ سَمَرِ نَادِيكَ الزَّاهِرِ؛ شَوْقٌ الْغَرِيبِ إِلَى
الْوَطَنِ، وَالْبَعِيرِ إِلَى الْعَطَنِ. وَقَدْ وَرَدَ الرَّقِيمُ الَّذِي أَزْهَرْتَ أَفَانِيَهُ، وَازْدَهَرَتْ
دَرَارِيُّهُ وَقَوَانِينُهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا رَوْضَةٌ بَلِيلَةُ الْأَدْوَاهِ، عَلَيْهِ النَّسَائِمُ وَالْأَرْوَاحُ. فَيَا
لَيْتَ شِعْرِي! أَهَذَا كِتَابٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ وَمَعَانِيهِ الْكَوَاعِبُ؟ أَمْ سَمَاءُ الْفَضَائِلِ
وَالْأَفَاطِلُ الْكَوَاعِبُ؟! وَإِنَّكَ وَاللَّهِ قَدْ اسْتَنْهَضْتَ بِهِ مَنِيَّ ذَا عَرَجٍ، وَاسْتَشْجَعْتَ
غَيْرَ كَلْحٍ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ، بَلْ نَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ، فَلَا غَرَوُ إِذَا تَقَاعَسْتُ
عَنِ الْمُبَارَزَةِ فِي حَلَبَتِكَ؛ فَالْبُغَاثُ لَا يَسْتَنْسِرُ بِقَاعَتِكَ. وَإِنِّي لَأَعْرِفُ قُصُورِي
عَنْ مُجَارَاةِ مِثْلِكَ يَا فَارِسَ الْبَلَاغَةِ، فَيَقْصُرُ بَاعِي عَنِ التَّطَاوُلِ فِي هَذَا الْمِيدَانِ،
وَيَحْضُرُ مِنْ يَرَاعِ بَرَاعَتِي اللِّسَانَ، وَإِنْ أُوتِيَ فَصَاحَةٌ سَحْبَانَ وَنَطَقَ بِحِكْمَةٍ
لُقْمَانَ. كَيْفَ لَا وَأَنْتَ قُسُّ الْبَلَاغَةِ وَقَاضِيهَا الْفَاضِلُ، وَرَبِيسُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِالْأَنَامِلِ! فَمَا فَطَرْتَ نُكْتَةً إِلَّا فَطَرْتَ أَلْبَابَ الْبَيَانِ، وَلَا سَطَرْتَ
خُطْبَةً إِلَّا أَطْلَعْتَ حَيْرَةَ أَصْحَابِ الْفِكْرِ فِي رِقَّةِ هَاتِيكَ الْأَلْفَاظِ وَدِقَّةِ تِلْكَ الْمَعَانِ،
فَتَبَارَكَ مَنْ سَوَّكَ فِي الْفَضْلِ آيَةً لِمَنْ سَوَّكَ، وَأَوَّلَكَ رُتْبًا قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ أَحِبَّائِكَ
وَشَهِدَتْ بِهَا أَلْسُنُ أَعْدَاكَ. وَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَقَابِلَ بَوَادِرَ كَلِمِكَ بِبَوَادِرِ
عَجْرِي وَبَجْرِي، وَأَسْتَعْمِي إِذَا انْتَدَبَ جَوَادُ فِكْرِكَ لِمُبَارَزَةِ أَعْرَجٍ قَرِيحَتِي مُؤَثِّرًا
أَنْ يَنْدَرِسَ هُنَاكَ أَثْرِي، فَإِنْ كُنْتُ سَمِعْتُ أَنِّي مِمَّنْ تَبَنَّاهُ الْأَدَبُ وَاصْطَفَاهُ
فَسَمَاعُكَ بِالْمُعَيَّدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. أَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ أَنِّي صِفَرْتُ فِي هَذَا الْعَصْرِ
بِقَاعِ هَذِهِ الْأَرْيَافِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ حِينَ خَلَا مِنْهَا لِي الْجَوُّ. وَإِلَّا فَأَنَا لَدَى مَحْضَرِ
مِثْلِكَ مِنْ صَيَارِفَةِ الْكَلَامِ لَا أَعْرِفُ الْحَوَّ مِنَ اللَّوِّ. لَكِنْ لَمَّا عَرَفْتُ مِنَ الْحَبْرِ
الْهَمَامِ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ لِي عَثَارًا، وَلَا يَقْبَلُ مِنِّي فِي رَدِّ الْجَوَابِ أَعْذَارًا؛ نَظَّمْتُ هَذِهِ
الْقَصِيدَةَ عَلَى وَجَلٍ، مُتَدَنِّرًا بِدَثَارِ الْحَيَاءِ وَالْحَجَلِ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ عَرَائِسَهَا
لِسَدَّتِكَ الْبَاهِيَةِ؛ فَلَزِمْتُ خِدْرَهَا حِينًا أَبْيَةً مُسْتَحْيِيَةً. لِعِلْمِهَا أَنَّهُ لَا خِيَارَ فِي

جَنَاهَا. وَلَا خَيْرَ فِي لَفْظِهَا وَلَا فِي مَعْنَاهَا، حَتَّى جَاءَهَا مِنْ نَحْوِ حَيْكَ خَاطِبٌ
وَرَأَيْتُ أَنَّهُ أَمَرَ لِازِبٍ وَاجِبٍ، فَبَعَثْتُهَا شَفِيعَةً لِنَفْسِهَا فِي التَّأخِيرِ، وَلِمَثَلِهَا عِنْدَ
مِثْلِ جَنَابِكَ قَوْلٌ جَلِيلٌ وَأَمَلٌ كَبِيرٌ، فَبَلَّغْتُهَا مِنْ حَضْرَتِكَ الْمَأْمُولِ، وَاجْعَلْ نِخْلَتَهَا
حُسْنَ الْقَبُولِ. بَلَّغَ اللَّهُ جَنَابَكَ فِي الدَّارَيْنِ كُلِّ مَا اشْتَهَى، وَلَا زِلْتُ تَبْتَدِئُ الْمَكَارِمَ
كُلَّمَا قِيلَ. انْتَهَى.

عبد الهادي نجا
عُفِيَ عَنْهُ

فَمَنْ يُشَنَّفُ عَنْهُ مَسْمَعِي بِنَبَا
حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ فِي الْهَوَى وَصْبَا
مُذْ لَاحَ فِي قِرْطَقٍ مِنْ حُسْنِهِ وَقْبَا
حُورٍ لَوَاحِظٍ عَيْنِيهِ فَوَا حَرَبَا
أَضَاءَ مِنْ نَحْتِهَا بَدْرًا وَمَا اخْتَجَبَا
فِي أَوْجِهِ وَكَأَنَّ الطَّرْفَ حَرْفَ ظَبَا
فِي رَوْضِهِ وَكَأَنَّ الْجِدَ جِدَ ظَبِي
حُسْنُ زَهَا وَلَهَا نَشْوَانٌ رَاحَ صَبَا
فَقَامَ يَسْتَلِيبُ الْأَلْبَابَ مُنْتَهَا
وَكَيْفَ يُدْرِكُ عَيْنَ الشَّمْسِ مَنْ طَلَبَا
رُ النَّظِيمِ وَرَيْقُ يَزْدَرِي الضَّرْبَا
تُصْبِي وَتُسْبِي النُّهَى مِمَّنْ لَهَا رَقْبَا
فَتُكُ يُرِيكَ بِأَبْنَاءِ الْهَوَى الْعَجَبَا
وَلَا مُهَنْدٌ إِلَّا مَا لَهَا انْتَسَبَا
وَلَا سَلَامَةٌ مِنْهَا لَا وَلَا هَرَبَا
عُنُو شَمَّ الْمَعَالِي لِلْكَرِيمِ أَبَا
رِ الشَّامِ بَلْ وَاجِدِ الْعَصْرِ الَّذِي انْتُخَبَا
فَاحَ مِسْكُ بَدِيعِ الْقَوْلِ قَدْ عَذْبَا
بَرَقَ يُكْشِفُ مِنْ ظُلُمَاتِهَا الْحُجْبَا

وَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى ظَبْيِ نَائِي وَنَبَا
هَامَ الْفَوَادِ بِهِ شَوْقًا لَهُ وَصْبَا
ظَبْيٍ تَهَالَكْتَ الْعُشَّاقُ فِيهِ جَوَى
حُمُرٌ مَرَّاشْفُهُ سُودٌ سَوَالْفُهُ
كَأَنَّ حُلَّتَهُ الْغَيْمُ الرَّقِيقُ وَقَدْ
كَأَنَّ طَلَعَتَهُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ بَدَا
كَأَنَّ قَامَتَهُ الْغُصْنُ الرَّطِيبُ زَهَا
لَمَّا رَنَا فَرَأَى أَنْ لَيْسَ يَغْدِلُهُ
وَشَامَ إِحْدَاقَ أَحْدَاقِ الْأَنَامِ لَهُ
يَزْنُو فَتَطْمَعُ فِيهِ النَّفْسُ مِنْ شَغَفٍ
يَفْتَرُّ مَبْنَسِمًا عَنْ مِثْلِ مَا نُسِقَ الدُّ
لِعَيْنِهِ حَرَكَاتٍ فِي تَغَزُّلِهَا
لَهَا إِذَا غَزَلْتَ غَزُو وَإِنْ فَتَرْتَ
لَا سِحْرَ إِلَّا الَّذِي فِي ضَمْنِ لِحْظَتِهَا
وَلَا سُلَافَةَ إِلَّا مِنْ تَكَلُّمِهَا
تَرْنُو فَتَعْنُو لَهَا الْأَرْوَاحُ خَاضِعَةٌ
نَصِيفِ الْعِلْمِ الْمِفْضَالِ شَامَةٌ قُطْ
الْيَازِجِي الَّذِي مَا فَاهَ يُنْشَدُ إِلَّا
شَهُمٌ لَهُ فِي دِيَاجِي الْمُغْضَلَاتِ سَنَى

أَنْشَأَ وَأَبْلَغُ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا
أَجْلَى الْوَرَى حَسَبًا أَعْلَاهُمْ نَسَبَا
يِرَامُ بَلْ يَسْتَرْدُّ الْخَصَمَ مُنْتَجِبَا
حَزْمٌ تَبَصَّرُهُ نَذْبٌ إِذَا نُدِبَا
لَكِنْ لَهُ هَيْمَةٌ تُودِي الْوَرَى رَهْبَا
الْمُشْكِلَاتِ وَإِنْ أَوْدَتْ بِهِ تَعْبَا
تَسْتَعْرِبُ الْعُجَمَ أَوْ تَسْتَعْجِمُ الْعَرَبَا
وَمَا شَعَرْتُ أَزْهَرُ أَمْ زُهُورُ رَبِّي
وَنَثْرَكَ النَّثْرَةُ الْعُلْيَا وَلَا عَجَبَا
كَمَا تَنْثَنِي قَضِيبُ الْبَانِ وَقَتَّ صَبَا
فِي نُطْقِهَا طَرَبٌ أَحْسَنُ بِهِ طَرَبَا
فِي خُلُقِهَا أَدَبٌ أَكْمَلُ بِهِ أَدَبَا
عَلَى أَنْاسٍ قَضَوْا مِنْ أَنْسَاهَا أَرْبَا
رَدَّتْ صَبَا صَبُوءَ لِي كَانَ قَدْ نَهَبَا
جِسَانُ مِصْرَ حَيَاءٍ وَاخْتَفَتْ أَدَبَا
بَنُو الْبَلَاغَةِ عَنْ آيَاتِهِ حَقَبَا
وِطْرُسُ نَظْمٍ كَصَدْرِ الْخُودِ مُكْتَتَبَا
دَرِي بِلَالٍ الْأَفْلَاكَ وَالشُّهُبَا
رُوحِي بِهَا إِنَّهَا الْبُشْرَى لِمَنْ كَتَبَا
فَضْلٍ وَفَضْلٍ وَفَخْرٍ بَاهِرٍ وَحَبَا
عَلَى الْغُصُونِ نَسِيمَاتُ الصَّبَا طَرَبَا

أَسْمَى وَأَسْمَحُ مَنْ أَعْطَى وَأَفْصَحُ مَنْ
أَزْكَى الْأَنَامِ نُهَى أُنْدَى الْكِرَامِ يَدَا
يِرَامُ عَرَفًا وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا
عِلْمٌ تَفَكَّرُهُ جَزْمٌ تَصَوَّرُهُ
يَلْقَى مُيَمَّمَهُ بِالْبِشْرِ مُبْتَسِمًا
وَيَسْتَلِذُّ بِفِعْلِ الْمَكْرُمَاتِ وَفَكَّ
يَا رَاحَ رُوحِي قَدْ أَهْدَيْتَ لِي كَلِمًا
فَمَا دَرَيْتُ أَسِحَّرُ أَمْ يَهَاقُ طَلَا
تَالِهٍ نَظْمُكَ وَالْإِكْلِيلُ فِي نَسَقِ
فَمَا كِعَابٌ تَثْنَتْ فِي غَلَائِلِهَا
فِي عِطْفِهَا خَنْتُ أَنْعَمَ بِهِ خَنْتَا
فِي خَلْقِهَا غُنْجٌ أَجْمَلُ بِهِ غُنْجَا
فِي كَفِّهَا صَرْفُ صَهْبَاءٍ تَدُورُ بِهَا
يَوْمًا بِأَبْدَعِ مِنْ خُودٍ بَعَثَتْ بِهَا
شَامِيَّةٌ وَرَدَّتْ فِي مِصْرَ فَاثْتَقَبَتْ
أَوْدَعَتْ فِيهَا مِنَ الْأَدَابِ مَا عَجَزَتْ
لِلَّهِ شَعْرُ كَسْلِكَ الدُّرِّ مُنْتَظِمًا
دُرٌّ يَفُوقُ عَلَى الدُّرِّ النَّضِيدِ وَيَزُ
أَرْجُو مِنَ اللَّهِ لُقْيَاكَ الَّتِي عَلِقْتُ
لَا زِلْتُ تَسْمُو عَلَى أُنْبَاءِ عَصْرِكَ فِي
مَا غَرَّدَتْ صَادِحَاتُ الطَّيْرِ تَرْقِصُهَا

فقال يجيبه:

حَدِيثَ فِتْنَتِهِ الْكُبْرَى فَمَا كَذَبَا
وَكَيْفَ يَخْضَرُ نَبْتُ جَاوَرِ اللَّهْبَا
لَكِنْ شَمَائِلُهُ لَا تَعْرِفُ الْعَرَبَا
لَهُ فُكَاهَةٌ رِيحَانٍ وَلَطْفُ صَبَا

أَسَ الْعَذَارِ عَلَى حَدِيثِهِ قَدْ كَتَبَا
مَا زَالِ يَخْضَرُ ذَاكَ الْأَسَ مُزْدَهِيَا
فَتَى مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ مَنْطِقُهُ
غُضُّ الصَّبَا لِيَنَّ الْأَعْطَافِ مُعْتَدِلُ

حَتَّى رَأَيْتُ لِزُهْدِي فِي الْهَوَى سَبَبَا
مَنْ النَّسِيبِ بِخَوْدِ تَفْتِنِ الْأَدْبَا
كَأَنَّهَا فَلَكُ قَدْ ضَمَّنَ الشُّهْبَا
أَصَابَ كَاتِبُهَا أَجْرَى لَهَا الذَّهْبَا
عَقَدَ اللَّالِي بِلَا سَمَطٍ فَوَا عَجَبَا
إِذَا قَضَى أَوْ رَوَى أَوْ خَطَّ أَوْ خَطَبَا
حَزْمًا إِذَا قَامَ لِلتَّدْرِيسِ مُنْتَصِبَا
بِالسَّبْقِ مِمَّنْ رَأَى فِي كَفِّهِ الْقَصْبَا
مَنْ الْمُضَافِ إِلَيْهِ كَانَ مُكْتَسِبَا
أُنْدَى الْكِرَامِ يَدَا خَيْرِ الْأَنَامِ أَبَا
طَلَّقُ اللَّسَانِ إِذَا السَّيْفُ الصَّقِيلُ نَبَا
وَالسَّهْمُ مُنْطَلِقًا وَالغَيْثُ مُنْسَكِبَا
حَتَّى تَوْهَمُهُ لَا يَعْرِفُ الْغَضْبَا
عَيْنًا لَهَا لَحْظَاتٌ تَخْرِقُ الْحُجْبَا
يَوْمًا فَطَارَتْ بِهَا فَوْقَ الْعُلَى رُتْبَا
وَمَنْ رَأَى النُّجْمَ تَحْتَ الْمَاءِ قَدْ رَسَبَا
أَبَا حَنِيفَةَ فِي مُحْرَابِهِ انْتَصَبَا
كَأَنَّهُ الْبَحْرُ يَسْقِي مَأْوَهُ السُّحْبَا
مَنْ الْعَطَايَا وَيَبْقَى فَوْقَ مَا ذَهَبَا
فَنَالَتِ الشَّامَ حَتَّى جَاوَزَتْ حَلْبَا
طَيَّ الْحَشَى وَتَدَا مَدَّتْ لَهُ سَبَبَا
وَأَثَبَتِ الْيَمْنَ الْأَقْصَى لَهَا النَّسَبَا
وَنَرَّصُدُ الرِّيحِ هَلْ تَأْتِي لَنَا بِنْبَا
حَتَّى كَأَنَّا وَرَدْنَا نِيلَهَا الْعَذْبَا
كَمَنْ تَيَمَّمْ حَيْثُ الْمَاءُ قَدْ نَضَبَا
يَسْتَخْدِمُ الْحَيْلَ فَلَيْسَتْخْدِمِ الْكُنْبَا

مَا زَالَ وَجْدِي بِهِ يَنْقَادُ عَنْ سَبَبِ
لَهَوْتُ عَنْ غَزَلٍ فِيهِ بِعَارِضَةِ
رِسَالَةٍ مِنْ ضَوَاحِي مِصْرَ قَدْ وَرَدَتْ
بَدِيعَةَ النَّظْمِ خُطَّتْ بِالْمِدَادِ وَلَوْ
لِلَّهِ مِنْ كَاتِبٍ أَقْلَامُهُ نَظَّمَتْ
يَفْتَنُ فِي فِتْنَةِ الْأَلْبَابِ مُبْتَدِعَا
مُهَذَّبٌ تَرْفَعُ الْأَوْهَامَ حِكْمَتُهُ
يُقْضَى لَهُ حِينَ يُفْتِي فِي مَجَالِسِهِ
عَبْدٌ أَضِيفَ إِلَى الْهَادِي فَنَالَ هُدَى
أَقْوَى الْوَرَى سَنَدًا أَعْلَى الذُّرَى عُمْدَا
طَلَّقُ الْيِرَاعَةِ طَلَّقُ الْوَجْهِ طَلَّقُ يَدِ
كَالْبَحْرِ مُنْدَفِقًا وَالصُّبْحِ مُنْبَثِقًا
سَهْلُ الْخَلَائِقِ لَا يَهْتَاجُهُ غَضَبُ
يُغْضِي عَنِ الْجَهْلِ مِنْ حِلْمٍ وَمَكْرَمَةٍ
أَرَادَ لِلنَّفْسِ وَضْعًا مِنْ وَدَاعَتِهِ
لَا يَبْرَحُ الْمَرْءُ حَيْثُ اللَّهُ يَجْعَلُهُ
مَتَى تَزُرْ شَيْخَنَا الْمُفْتِي الْكَبِيرَ تَرَى
تَرَى التَّلَامِيذَ تَسْتَمْلِي فَوَائِدَهُ
كَنْزُ الْعُلُومِ الَّذِي يُغْنِي الْفَقِيرَ بِهِ
بَحْرٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ مَدَّ لُجَّتَهُ
أَهْدَى إِلَيْنَا بُيُوتًا كُلَّمَا ضَرَبَتْ
تِلْكَ الْعَذَارَى الَّتِي فِي الرَّيْفِ قَدْ وَلَدَتْ
بِتْنَا نَشَوْقُ إِلَى مِصْرَ لِرُؤُوسِهِ
يُمَثِّلُ الْوَهْمُ هَاتِيكَ الدِّيَارَ لَنَا
عَزَّ اللَّقَاءُ فَرَدَدْنَا رَسَائِلَنَا
مَنْ لَيْسَ يَقْدِرُ فِي وَصْلِ الْأَحَبَّةِ أَنْ

وَأَمَّا جَوَابُ الْجِيْمِيَّةِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الشَّيْخُ قَبْلًا فَقَدْ أَرْسَلَهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مُصَدَّرًا بِهَذِهِ
الرسالة:

بسم الله أفتتح وبه أختتم

يَا مَنْ أَطَالَ بِدُرِّ نَظْمٍ فَائِقٍ	وَأَفَتْ بِهِ أَيْدِي مَكَارِمِهِ الْغُرُ
وَكَسَانِي الْحُلَّ الْجَسَانِ ثَنَاؤُهُ	بِصِفَاتِهِ وَالْغَيْرُ مِرَاةُ النَّظَرِ
هَذَا مُجِبٌّ قَدْ وَفَّتْكَ حُرُوفُهُ	فِي ثَوْبٍ تَقْصِيرُ بِشِينٍ مَنْ اقْتَصَرَ
لِكِنَّهُ يُبْدِي اعْتِذَارًا صَادِقًا	وَمِنْ الْكَمَالِ قَبُولُ عُذْرٍ مَنْ اعْتَذَرَ

يَا عَزِيزِي وَحَبِيبِي، وَنَصِيفِي وَنَصِيبِي، يَا جَنَابًا حَسَنَتْ خَلَاتِقُهُ، وَخَطِيبًا
أُنْعَشْتَنَا أَزَاهِرُهُ وَشَقَائِقُهُ، وَعَانَقْتَنَا عَرَائِسُ دُرِّهِ الْمُنْظُومِ، وَجَمَلَّتْنَا حُلُلُ مَدَحِهِ
بِمَا هُوَ بِهِ مَعْلُومٌ؛ إِلَيْكَ اعْتِدَارِي فِي تَأَخُّرِ جَوَابِ شَرِيفِ كِتَابِكَ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ
بِوَاجِبِ مَا سَلَفَ لِي مِنْ رَقِيقِ خِطَابِكَ، فَقَدْ عَرَضَ لِي مِنَ الْعَوَارِضِ مَا أَذْهَلَنِي
عَنِ الْمَكَاتِبَةِ، وَشَغَلَنِي عَنْ تَوَالِي رَسَائِلِ الْمُخَاطَبَةِ، وَأَعْجَزَنِي عَنِ التَّاهُّلِ لِمُخَاطَبَةِ
مِثْلِ الْجَنَابِ، وَجَعَلَنِي أَضْرِبُ أَخْمَاسًا فِي أَسْدَاسٍ حَتَّى إِذَا دَخَلْتُ مِنْ بَابٍ
خَرَجْتُ مِنْ بَابٍ. وَهَذِهِ مُحَاسِنُ حِلْمِكَ مَحْمُودَةٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَفَضَائِلُ مَكَارِمِكَ
مُؤَمَّنَةٌ لِلخَائِفِينَ، فَكَيْفَ لَا أَمُنُ مَعَهَا عَدَمَ الْإِغْضَاءِ عَنْ هَذَا التَّقْصِيرِ سِيِّمًا مَعَ
إِبْدَائِي تِلْكَ الْمَعَاذِيرَ، وَبِعَوْنِ اللَّهِ إِذَا اعْتَدَلَ الْحَالُ، وَرَاقَ الْبَالُ، وَجَلِيَتْ مِرَاةُ الْفِكْرِ
مِنَ الصَّدَا، وَسَرَى بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ غَدًا؛ نُوَالِي مُكَاتَبَتَكُمْ اللَّائِقَةَ، وَنَفَائِسَ عَرَائِسِ
مَدَائِحِكُمُ الْفَائِقَةَ، وَنَقُومُ بِمَا اسْتَقَرَّ فِي الذِّمَّةِ مِنْ وَاجِبِ الْحَقُوقِ، وَنَخْرُجُ
بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنْ رِبْقَةِ هَذَا الْعُقُوقِ. وَالْآنَ أَنَا مُرْسِلُ جَوَابِ الْجِيْمِيَّةِ، إِلَى سَاحَتِكُمْ
السَّخْبَانِيَّةِ، مُقَدِّمًا إِيَّاهَا إِلَى أَغْتَابِكُمْ عَلَى رَجَاءِ قُبُولِهَا عَلَى عِلَاتِهَا، وَإِسْبَالِ ثِيَابِ
الصَّفْحِ عَنْ زَلَّاتِهَا. وَشَوْقِي إِلَى جَمِيعِ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى جَنَابِكُمْ الْأَكْرَمِ. وَدُمْتُ.

الفقير

عبد الهادي نجا

عُفِيَ عَنْهُ

بَدَتْ فَأَبْدَتْ مِنَ الْأَشْوَاقِ بِي وَهَجَا
حَوْرَاءُ قَدْ مُلِئَتْ أَجْفَانُهَا دَعَجَا
تَبْدُو فَيَصْفَرُّ لَوْنُ الْبَدْرِ مُنْكَسِفَا
مَظْلُومَةُ الْوَجْهِ فِي تَشْبِيهِهِ قَمَرَا
مَا بَيْنَ الْأَحَاطِهَا كَمْ مِنْ طَرِيحِ ظَبْيٍ
مِنْ كُلِّ صَبٍّ قَضَى وَجْدًا وَكُلِّ شَجٍّ
وَأَيُّ صَبْرٍ لِصَبٍّ قَدْ رَأَى هَيْفًا
كَأَنَّمَا قَدَّهَا مَهْمَا مَشَتْ ثَمَلٌ
كَأَنَّمَا رَدَفُهَا مِنْ بَيْنِهَا وَجَلٌ
وَاللَّهِ مَا كَانَ عُذْرِي فِي الْهَوَى بَلَجَا
وَلَا ذَرَفْتُ يَوَاقِيتِ الدُّمُوعِ جَوَى
لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْأَحَاطِهَا غَزَلًا
أُجَانِسُ الْخَدِّ مِنْهَا بِالرَّقِيقِ مِنَ الْـ
وَكَيْفَ لَا يَزْدَهِي فِي وَصْفِهَا كَلِمِي
وَلَفْظُهَا وَتَنَاسُلُهَا كَدْرٌ ثَنَا
عَيْسَى الزَّمَانِ طَبِيبُ الْمَجْدِ قَيْمُهُ
مُهْدِي الْفَرَائِدِ فِي سَمَطِ الْقَرَارِطِ أَمـ
الْقَائِلُ الْقَوْلَ لَا يُلْفَى مُعَارِضُهُ
أَوْفَى وَأُبْلَغُ مَنْ تَبَغْيِي وَأَشْجَعُ مَنْ
مِنْ عَاقِدِ ذِمَّةٍ أَوْ قَائِلِ كَلِمَةٍ
مَا اهْتَزَّ لِلنَّظْمِ إِلَّا أَمْطَرْتُ دُرَرًا
أَوْ مَالٍ لِلْحَرْبِ إِلَّا فَرَّ مِنْهُزِمًا
كَالْغَيْثِ مُنْقَبِضًا وَالْغَيْثِ مُنْسَكِبًا
عَفُ الْمَازِرِ مَحْمُودِ الْمَخَابِرِ مَمـ
تَرَى الْقُلُوبَ إِذَا تَلَقَّاهُ وَاجِفَةً
إِذَا الْعُفَاةَ رَأَوْهُ اسْتَبَشَرُوا فَرَحًا
إِنْ أَمَحَلَ الْأَرْضُ فَهُوَ الْغَيْثُ مِنْهُمْرَا

وَأَسْفَرْتُ ثُمَّ قَالَتْ مُتٌ وَلَا حَرَجَا
هَيْفَاءُ قَدْ عَبِقَتْ أُرْدَانُهَا أَرْجَا
وَتَنَتَّنِي فَيَغَارُ الْغُصْنُ مُنْفَلِجَا
مَظْلُومَةُ الْفَرْعِ فِي تَشْبِيهِهِ بِدُجَى
وَبَيْنَ أَعْطَافِهَا كَمْ مِنْ طَعِينِ حَجَى
بَقِي فَلَمْ يَلَقْ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى فَرْجَا
فِي قَدَّهَا وَرَأَى فِي لَحْظِهَا غَنَجَا
مِنْ خَمَرٍ مُقْلَتِهَا يَنَادُ مُنْعِرَجَا
يَكَادُ يَجْذِبُهَا فِي النَّهْضِ مُنْدَمِجَا
لَوْلَا جَبِينُ لَهَا قَدْ ظَلَّ مُنْبَلِجَا
لَوْلَا مَبَاسِمُهَا اللَّاتِي زَهَتْ فَلَجَا
يَسْتَعْبِدُ الْحَرَّ أَوْ يَسْتَأْسِرُ الْمُهْجَا
الْفَاطِ وَالْخَصْرُ بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ شَجَا
وَيَزْدَرِي شَدُو تَشْبِيبي بِهَا الْهَزَجَا
هَمَامِنَا الْيَارِجِي نَظْمًا وَمُبْتَهَجَا
مُحْيِي رُفَاتِ الْعُلَى مِنْ بَعْدِ مَا نَهَجَا
ثَالِ الْكَوَاكِبِ فِي لَوْحِ الْعَنَانِ دُجَا
وَالْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَا يَنْفَكُ مُنْتَهَجَا
تَلْقَى وَأَرْفَعُ مَنْ رَامَ الْعُلَى وَرَجَا
أَوْ ضَارِبٍ لِمَمَّا أَوْ مُرْتَقٍ دَرَجَا
مِنْهُ أَكْفُ تَبَاهِي السُّحْبِ وَاللَّجَا
أَمَامَهُ الْجَحْفَلُ الْكَرَّارُ مُخْتَلِجَا
وَالْبَحْرِ مُنْبَسِطًا وَالْبَدْرِ مُبْتَهَجَا
دَوْخُ الْمَآثِرِ مَقْصُودٌ لِمَا مَرَجَا
وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهُ مَنْظَرًا بِهِجَا
وَاسْتَغْنَمُوا فَرْجًا وَاسْتَرْجَعُوا سَحَجَا
أَوْ أَظْلَمَ الْجَوْ فَهُوَ الْبَدْرُ مُنْبَلِجَا

فِي لَفْظِهِ دُرَّرَ تُشْرَى الْقُلُوبُ بِهَا
عَنْهُ وَمِنْهُ رِوَاةُ الْمَجْدِ قَدْ أَخَذُوا
وَمِنْ غُصُونِ يِرَاعَاتٍ لَهُ اقْتَطَفُوا
فَاقَ الْأَمْثَالَ حَتَّى لَا تَرَى مَثَلًا
سَمْعًا فَدَيْتُكَ مِمَّنْ قُدَّتْ مُهْجَتُهُ
مَدْحًا تَمِيلُ لَهُ الْأَلْبَابُ رَاتِعَةً
لَا زِلْتَ مَوْفُورَ حَظٍّ مَا زَهَا زَهْرُ
لَكِنَّهَا تُنْعِشُ الْأَلْبَابَ وَالْمُهْجَا
عِلْمَ الْمَعَانِي فَأَضْحَى نَهْجُهَا نَهْجَا
زَهَرَ الْمَعَانِي فَأَمْسَى نَفْحُهُ أَرْجَا
لَهُ وَحَتَّى عَلَا فَوْقَ السُّهَى دَرْجَا
مَدْحًا يَلُوحُ عَلَيْهِ الصَّدْقُ مُنْبَهْجَا
مِنْهُ يَوْصِفُكَ فِي رَوْضٍ قَدْ ابْتَهَجَا
وَمَا مُحِبٌّ بِمَدْحٍ فِيكَ قَدْ لَهَجَا

وكتب إليه عبد الباقي أفندي العمري تقريظًا على النبذة الأولى من ديوانه:

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِفَضْلِهِ
بِهَا نَاصِيفٌ عَيْلُمٌ كُلُّ فَضْلٍ
وُفِّقْتُ فَوْقَ قُفْتُ عَلَى النِّبْذَةِ الَّتِي
تَطَوَّلَ فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجَمِيعِ

وَالْفَلْذَةِ الَّتِي

دَعَتْ أَفْلَازَ أَكْبَادِ الْمَعَانِي
مُفْتَتَّةً بِأَيْدٍ مِنْ وُلُوعِ

وَالْحَوَذَةِ الَّتِي

كَسَتْ هَامَ الْأَفَاضِلِ تَاجَ عِزٍّ
وَمَغْفَرَ قِمَّةِ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ

وَالْعَوَذَةِ الَّتِي

بِهَا عَادَتْ قَرَائِحُنَا وَلَادَتْ
فَأَغْنَتْهَا عَنِ الْحِرْزِ الْمَنِيْعِ

وَاللَّذَةِ الَّتِي

وَجَدْنَا فِي مَذَاقِ الْحُبِّ مِنْهَا
حَلَاوَةَ شَهْدٍ وَصَلٍ مِنْ قَطُوعِ

وَالْجَدْوَةِ الَّتِي

بِهَا قَدَحَتْ زِنَادَ الْفِكْرِ مِنْهُ
فَخَفْتُ مِنَ الشَّرَارِ عَلَى ضُلُوعِ

وَالْجَلْوَةِ الَّتِي

أَتَتْ مَطْبُوعَةً لَفْظًا وَمَعْنَى
عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ الْبَدِيعِ

فَقَرَّطْتُهَا بِهَذَا التَّقْرِيطِ:

وَقَفْتُ وَمَنِّي الْعَيْنُ فِي مَوْضِعِ الرَّجُلِ
لَأَخْمُصِهِ هَامُ الْعُلَى مَوْطِئُ النَّعْلِ
وَعَقْلِي عَنِّي ذَاهِلٌ مِنْ بَنِي ذُهَلِ
خِلَالَ الْمَبَانِي وَهِيَ لَيْلِيَّةُ الشَّكْلِ
وَكَمْ قَدْ مَحَتْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ مِنْ ظِلِّ
فَوَافَقْتُ الطَّبْعَ السَّلِيمَ مِنَ الْغِلِّ
وَحَطَّتْ مِنَ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ عَلَى أَثْلِ
فَمَيَّلَ أَعْطَافَ الرَّصَافَةِ مَا تُمْلِي
لَهَا نَفَثَاتٍ أَوْهَنْتْ عُقْدَ الْحَلِيِّ
مِنَ السَّحْرِ تَمْشِي فِي الْعُقُولِ عَلَى مَهْلِ
وَشَارِبُ صَرْفِ الرَّاحِ يَحْتَاجُ لِلنَّقْلِ
لِتَبْلِيغِ مَا أَحْوَاهُ رَبِّي إِلَى النَّحْلِ
فَسَاغَ شَرَابًا فِي لَهَاةِ فَمِ الْعَقْلِ
وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ سَفْحِ لُبْنَانٍ فِي السَّهْلِ
فَوَاضِلُ أَكْمَامٍ تَرَشَّخَ بِالذَّلِّ
وَتَرَنُو كَمَا تَرَنُو بِأَعْيُنِهَا النَّجْلِ
عَلَى سَطْحِهَا يَنْسَابُ مِنْ جَوْدَةِ الصَّقْلِ
فَسَحَقًا لِمَا فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مِنْ كُحْلِ
غَشَاها الْغَشَى كَالْعَاكِفِينَ عَلَى الْعَجْلِ
خَمَائِلُ إِحْسَانٍ مَنَاهِلُ لِلْفَضْلِ
نَمَتَ كَرَمًا بَلَّتْ صَدَى أَيْمًا بَلَّ
مَكَامِنُ إِفْضَالِ مَوَاطِنَ لِلْبَذْلِ
رَكَتْ مَغْرَسُ الْجَدْوَى طَوَتْ شَقَّةَ الْبُحْلِ
وَمَا رُمْتُ مِنْ جَزَلٍ وَمَا اخْتَرْتُ مِنْ عَبْلِ
تَغْصُنُ لَهَا سَاقٌ مِنَ اللَّفْظِ فِي حَجْلِ
نَبَالًا أَرَاشَتْهَا النَّبَالَةُ بِالنَّبْلِ

عَلَى نَبْدَةٍ مِنْ شَعْرِ نَاصِيفِ ذِي الْفَضْلِ
وَطَاطَأَتْ إِجْلَالًا لَهَا رَأْسَ شَامِخٍ
فَرَحْتُ لَدَى الْإِمْعَانِ فِيهَا كَأَنَّنِي
وَشُمْتُ سَنَى فَجْرِ الْمَعَانِي يَلُوحُ مِنْ
مَحَا ظِلٍّ وَهَمِي حِينَ أَشْرَقَ نُورُهَا
عَلَى الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ مَطْبُوعَةً أَتَتْ
وَقَدْ رَفَرَفَتْ بِالْخَافِقِينَ صَحَافُهَا
وَأَوْرَاقُهَا فِي الْكَرْخِ وَرَقَاوُهَا شَدَتْ
وَبَثَّتْ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ بِبَابِلِ
وَقَدْ مَلِئْتُ أَقْدَاحَ أَحْدَاقِنَا طَلًّا
فَتُسَكَّرُ الْأَبَابُ بِنَقْلِ حَدِيثِهَا
وَكَمْ دَنَدَنْتُ مِنْ حَوْلِ كُورَةِ مَسْمَعِي
وَذُقْتُ بِتَغْيَرِ الْفِكْرِ شَهْدَ مِجَاجِهَا
قَصَائِدُ تَحْكِي فِي الطُّرُوسِ خَرَابِدًا
تَهَادَى بِجِلْبَابٍ مِنَ الْفَضْلِ كَمْ لَهُ
وَتَعْطُو كَمَا تَعْطُو الْمَهَاةُ بِجِيْدِهَا
مَرَايَا عُقُولٍ لِلْمُصَوِّرِ زَيْبَقُ
قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ بِنَظَرَةٍ
نَرَى فِي سِوَاهَا النَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ
هَيَاكِلِ عِزْفَانٍ مَعَاقِلُ جُحْمَةٍ
أَقْلَتْ دِمَى طَالَتْ عَلَى شُرُفَاتِهَا
مَعَادِنُ إِجْلَالِ مَعَاظِنُ سُودِ
وَعَتَ كُلُّ إِعْظَامٍ حَوَتْ جُلَّ مَفْخَرِ
فَمَا شَبِثُ مِنْ ضَخْمِ الْكَرَادِيْسِ مِنْ عُلَى
وَمَا اسْتَقْتُ مِنْ غِيدِ الْمَعَانِي رَشِيقَةً
تُفَوِّقُ مِنْهَا الْعَيْنُ عَنْ قَوْسٍ حَاجِبٍ

تَكَادُ عَلَى الْقِرْطَاسِ تَرْسُفُ فِي كَبَلِ
نَوَائِبَ مِنْ زَحَفِ السُّطُورِ وَمِنْ جَنَلِ
وَأَصْلُ زَكَاءِ الْفَرْعِ مِنْ كَرَمِ الْأَصْلِ
كَمَا فَتَحَتْ زَهْرَ الرَّبِيِّ أَنْمُلُ الطَّلَّ
فَأَحْيَتْ مَوَاتِ الْفِكْرِ بِالطَّلِّ وَالْوَبَلِ
تَشْقُ شِعَارَ الْجَهْلِ مَعْطَا إِلَى الدَّيْلِ
بِمَا رَقَّ مِنْ نَهْلٍ وَمَا رَاقَ مِنْ عِلٍّ
وَهَمِّهِمَةِ الضَّارِي وَشَقِيقَةِ الْفَحْلِ
أَقَامَ عَلَيْهَا شَاهِدَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ
يَقُولُ شُعُورِي إِنَّنِي عَنْكَ فِي شُغْلٍ
فَدَلَّتْ عَلَى تَوْحِيدِ مَنْ جَلَّ عَنْ مِثْلٍ
بِنَسْلِ وَمَا قَدْ مَسَّهَا قَطُّ مِنْ بَعْلٍ
تَصَدَّى لِدَعْوَاهُ بِمُعْجَزَةِ الرُّسْلِ
فَيَا مَنْ رَأَى جُزْءًا يَنْوِبُ عَنِ الْكُلِّ
تَكَادُ بِلا رَجُلٍ تَدُبُّ عَلَى النَّصْلِ
دَقِيقَ مَعَانِيهِ فَمَا احتَاجَ لِلنَّخْلِ
لِأَدْهِمِهَا لَاقَتْ مُطَارَدَةَ الْخَيْلِ
فَأَرْبَى عَلَى النِّيلِ الْمُبَارَكِ بِالنِّيلِ
فَمَا انْفَكَ حَتَّى مِنْهُ أَصْبَحَ ذَا كِفَلٍ
تَكُونُ قَرِيبًا لِي بِهِ مَجْمَعُ الشَّمْلِ
وَعَيْثُ بِهِتَانِ الْفَوَاضِلِ مِنْهَلٍ

مُخَلَّخَةً مِنْ أَسْطَرٍ بِخَلَاخِلِ
تَغُلُّ عَلَى بَيْضِ التَّرَائِبِ صُحُفَهَا
تَدُلُّ عَلَى طَيْبِ الْفُرُوعِ أَصُولُهَا
لَقَدْ فَتَحَتْ أَكْمَامَ أَسْمَاعِنَا لَهَا
وَجَادَتْ بِوَبَلٍ بَعْدَ طَلٍّ رَبَابُهَا
سَمَوَاتُ عِلْمٍ فِي ظَبْيٍ مِنْ أَهْلَةٍ
حَيَاضُ رِيَاضٍ فِي غِيَاضٍ تَدَفَّقَتْ
بِصَرَصَرَةِ الْبَارِي أَهَاجَتْ بِلَابِي
إِذَا أَنْكَرَتْ دَعْوَاهُ فِي الشُّعْرِ فَنَثِيَّةُ
وَإِنْ رَامَ شُعْرِي أَنْ يُبَارِزَ شُعْرَهُ
مَسَاحَةُ قُطْرِ الشَّامِ مِنْ مِثْلِهِ خَلَتْ
وَكَمْ بِكَرٍ فِكْرٍ مِنْهُ عَذْرَاءُ أَنْجَبَتْ
تَحْدَى بِمَا لَوْ صَحَّ لَابْنُ كَرَامَةٍ
أَرَى الْجُزْءَ مِنْهُ نَابَ عَنْ كُلِّ غَيْرِهِ
صَحَائِفُهُ تَحْكِي الصِّفَاحَ حُرُوفُهَا
رَحَى الْفِكْرِ مِنْ هَذِي الْحَوَارِيِّ نَقَحَتْ
وَأَقْلَامُهُ لَاقَتْ مَحَابِرَهُ الَّتِي
جَرَى نَهْرُ طَالَوْتَ النَّدَى مِنْ مِدَادِهَا
فَأَجْرَيْتُ ذَا النُّونِ الْيَرَاعَ بِمَدْحِهِ
عَسَى مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ بَيْرُوتُ لَا نَأَتْ
لَاخْطَى بِبَحْرِ زَاخِرٍ بِفَضَائِلِ

فقال يجيبه:

مُخَدَّرَةً تَسْبِي بِأَهْدَابِهَا الْكُخْلِ
رَعَتْ حَبَّةً لِلْقَلْبِ لَا عَرْفَجَ الرَّمْلِ
دَلَالًا فَزَادَتْ غَلَّةَ الشُّوقِ بِالْوَصْلِ
فَعَافَتْهُ إِجْلَالًا فَأَمَهَرَتْهَا عَقْلِي

أَتَعْلَمُ مَا هَاجَتْ بِقَلْبِي مِنَ الشُّغْلِ
غَزَالَةً إِنْسٍ لَا غَزَالَةَ رَبْرِ
أَتَتْنِي مِنَ الزُّورَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلُهَا
بَذَلْتُ لَهَا مَهْرَ الْعُرُوسِ مِنَ الْحَلَى

وَيَا حَبَّذَا مَا نِلْتُ مِنْ شَرَفِ الْمَثَلِ
عَلَيْنَا فَكَانَتْ عِنْدَنَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ
بَنُوعِ السَّجَايَا لَيْسَ بِالْجَنَسِ وَالْفَضْلِ
صَحِيحُ الْقَضَايَا صَادِقُ الْوَضْعِ وَالْحَمْلِ
لَهُ الشَّرَفُ الْمَحْفُوظُ فَرْعًا عَنِ الْأَصْلِ
مِنَ النَّسْلِ أَغْنَى الْقَوْمَ عَنْ كَثْرَةِ النَّسْلِ
وَفَاضَ إِلَى أَنْ صَارَ أَجْرَى مِنَ الْوَبْلِ
وَأَمْضَى يَدًا فِي الْمَشْكِلَاتِ مِنَ النَّصْلِ
فَيُكْسِبُهَا فَخْرًا عَلَى أَنْفِذِ النَّبْلِ
كَمَا وَقَفَ الْقَنَاصُ فِي مُلْتَقَى السُّبْلِ
عَلَتْ فَوْقَ رَأْسِي كَالسَّحُوقِ مِنَ النَّخْلِ
فَأَقْعَدَهَا وَقُرَّ جَدِيدٌ مِنَ الْفَضْلِ
فَأَوْلَاهُ تَقْرِيطًا فَسَادَ عَلَى الْكُلِّ
فَضَاقَ بِهِ مَا كَانَ يَحْوِيهِ مِنْ قَبْلِ
قَدْ انْتَبَذَتْ أَقْصَى مَكَانٍ مِنَ الْجَهْلِ
جَسُرَتْ فَقُلْ مَا ذَاكَ بِالشَّاهِدِ الْعَدْلِ
وَهَلْ يُرْتَجَى مِنْ غَيْرِهِ صَلََةُ الْحَبْلِ
جِبَالٌ مِنَ الْأَشْوَاقِ سَابِغَةُ الظِّلِّ
فَأَقْلَامُنَا تَجْرِي وَأَشْوَاقُنَا تُمْلِي

رَبِيبَةٌ حُسْنٍ صَيَّرْتَنِي رَبِيبَهَا
ظَفَرْنَا بِهَا مِنْ جُودِ أَكْرَمَ مُرْسِلِ
هُوَ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الْمُعَرَّفُ شَخْصُهُ
نَتِيجَةُ دَهْرٍ لَا يُقَاسُ بِفَضْلِهِ
هُوَ الْعُمَرِيُّ السَّيِّدُ الْمَاجِدُ الَّذِي
لَنْ لَمْ يَكُ الْفَارُوقُ أَخْلَفَ غَيْرَهُ
تَسَامَى إِلَى أَنْ صَارَ أَعْلَى مِنَ السُّهَى
أَشَدُّ جَلَاءً فِي الْخُطُوبِ مِنَ الضُّحَى
تَخَرَّ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ نَوَاجِسُ
تَصِيدُ الْمَعَانِي سَانِحًا بَعْدَ بَارِحِ
لَهُ مِنْنَةٌ طَالَتْ عَلَيَّ وَنِعْمَةٌ
إِذَا رُمْتُ شُكْرُ الْفَضْلِ أَنْهَضَتْ هِمَّتِي
رَمَى الْبَعْضُ مِنْ شِعْرِي الضَّعِيفِ بِطَرْفِهِ
رَأَى كُلُّ بَيْتٍ نَفْسَهُ كَقَصِيدَةٍ
بِكَ افْتَحَرْتُ يَا كَعْبَةَ الْفَخْرِ نَبْذَةً
تَقُولُ كِفَانِي شَاهِدٌ مِثْلُهُ فَإِنْ
قَضَى اللَّهُ بِالْبُعْدِ الَّذِي حَالُ بَيْنِنَا
أَرَى بَيْنِنَا شَمَّ الْجِبَالِ وَفَوْقَهَا
تَصَوُّغٌ لَنَا شَكْوَى النُّوَى بِيَدِ الْهَوَى

ورود إليه من الشيخ عبد الحميد الموصلي هذا التخميس لقصيدته المهملية المطبوعة
في النبذة الأولى من ديوانه:

لِوَاسِعِهِمْ أَسَاوِدُهَا صِلَالُ	عَدُوُّ الْمَرَّةِ أَوْلَادُ وَمَالُ
لِأَهْلِ الدَّهْرِ أَمَالُ طِوَالُ	أَحَاوِلُ طَوْلُهُمْ وَهُوَ الْمَحَالُ
طَالَ الْمِطَالُ	وَأَطْمَاعُ وَلَوْ
لَهُمْ دُورٌ مَطَارِحُهَا وَسَاعُ	وَهُمْ هَمَلٌ وَهُمْ دُودٌ رَعَاغُ
وَأَهْلُ الدَّهْرِ عَمَالُ أَطَاعُوا	عَمُوا صَمُّوا وَمَا لَهُمْ أَطْلَاعُ

هَوَاهُ كَمَا رَأَوْهُ مَالًا مَالُوا
مُرُورُ الْعُمُرِ مَرَمَرٌ كُلُّ حَالٍ وَأَمْرُ اللَّهِ دَمَرٌ كُلُّ حَالٍ
سُرُورُكَ وَالْهَمُومُ بِلَاءٌ دَالٍ كُرُورُ الدَّهْرِ حَوْلٌ كُلُّ حَالٍ
هُوَ الدَّهْرُ الدَّوَامُ لَهُ مُحَالٌ
أَعُوذُهُمْ وَكُلُّهُمْ مَلُولٌ وَأَزْعَاهُمْ وَدُورُهُمْ مُحُولٌ
أَرْوَحُ لِأَهْلِهِمْ وَهُمْ خُلُولٌ لَعَلَّ الصَّدَّ مَعَهُ لَهُ حُوُولٌ
أَوْمَلُهُ كَمَا حَالَ الْوِصَالُ
دُمُوعٌ دَمَ لَهَا سَحَّ هِطَالٌ وَرَوْحٌ رَاخَهَا سُومٌ مَدَالٌ
أَرْوَمٌ وَمَوْرِدُ الْأَمَالِ آلٌ صَلَاحُ الْحَالِ وَالْأَعْمَالِ مَالٌ
وَمَهْمَا سَاءَ مَالٌ سَاءَ حَالٌ
أَلَا رَدَّ كُلِّ مَاءٍ عَادَ مُرًّا وَوَادِدُ كُلِّ سَارٍ رَاخٌ سِرًّا
وَحُمٌ حَوْلَ الدَّرَاهِمِ وَامْسِ حُرًّا دَعِ الْعُلَمَاءَ وَالْحُكَمَاءَ طَرًّا
وَسَلَّ مَالًا أَلَا سَاءَ الْمَالُ
وَلِلْحُكَّامِ أَهْلُ الْمَالِ صَلُتُهُمْ وَعَاوِذُهُمْ وَوَدَّعُهُمْ وَدَعُهُمْ
وَرَجَّ لِلرَّاحِ وَاعْطِ الرُّوحَ أَشْهُمُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عَصْرٌ مَرٌّ مَعَهُمْ
وَمَرَّ الْحُلْمُ مَعَهُ وَالْكَمَالُ
صِلِ الْمُلَّاكَ وَاهْمِلْ مَا عَدَاها وَرِدْ أَمْوَاهَهَا وَاخْلُلْ حِمَاهَا
رُسُومُ الْعِلْمِ أَمْحَلُّهَا هَوَاهَا مَدَارِسُهُ كَأَطْلَالٍ أَرَاهَا
دَوَارِسُ لَا سَلَامٌ وَلَا سُؤَالُ
مَحَا رَسَمَ الْعُلُومِ سُومٌ عَنَمُ وَهَدَمَ دَارَهُ مِغْوَالُ هَدَمُ
وَحُمِّلَ كُلُّ حُرٍّ حَمَلٌ هَمٌّ عَلَا أَهْلَ الْمَكَارِمِ أَهْلُ لُؤْمُ
أَادَارُوا كَاسَهُمْ وَسَطُّوا وَصَالُوا
أَسَالَ الشَّهْدُ أَذْمَعُ كُلُّ سَمَحٍ وَمَرَمَرٌ كُلُّ خُلُوٍ مُرٌّ مَلَجٌ
حِمَارُ الطَّرْحِ رَوْعٌ كُلُّ سَرْحٍ مَعَاهِدَ كُلِّ هَرٍّ كُلُّ صَرْحٍ
وَأَكْرَمَ مَعَهْدُ الْأُسْدِ الدَّحَالُ
وَكَمْ حُرٌّ لَهُ عُمُرٌ مُهَالٌ وَمُكْرُوهُ لَهُ مَكْرٌ مُرَالٌ
وَمَمْدُوحٌ لَهُ مَذْحٌ مُحَالٌ وَكَمْ مَلِكٌ لِعَامِلِهِ مَلَالٌ

وَمَمْلُوكٍ لِمَالِكِهِ دَلَالٌ
وَكُلُّ مُكَرَّمٍ وَلَهُ مَرَامٌ وَكُلُّ مُحَكَّمٍ وَلَهُ كَلَامٌ
وَمَا الْحُكَّامُ كُلُّهُمْ إِمَامٌ وَمَا كُلُّ أَمِيرٍ دَمُهُ حَرَامٌ
وَلَا كُلُّ أَمِيرٍ دَمُهُ حَلَالٌ
أَمَرُ الْأَمْرِ أَلَامٌ وَدَاءٌ أَحَاطَ وَمَا لِحَامِلِهِ دَوَاءٌ
سُمُومُكَ وَالرَّوَاءُ لَهُ سَوَاءٌ عَدَاكَ اللَّوْمُ مَا لِلْعَارِ مَاءٌ
لِيُورِدَكَ لَا وَلَا لِيُؤْهِمَ أَلٌ
أَرْخَهَا لَا وَصُولٌ وَلَا سُنُورٌ وَلَا حَصْرُ الْمَرَامِ وَلَا حُصُولٌ
وَمِلَ عَمَّا أَهَمَّكَ لَا مَلُولٌ أَصَحَّ الْجِلْمُ عَهْدَكَ لَا حَوُولٌ
لَهُ وَأَصَحَّ وَعْدَكَ لَا مَطَالٌ
أَيُّزُ كَاسًا لِوَارِدِهَا رَوَاءٌ وَرِدُّ رَاحًا لِمَسْرَاهَا هَوَاءٌ
وَأَوَّلُهَا وَأَوْسَطُهَا سَوَاءٌ لَكَ الْوُدُّ الْمُؤَكَّدُ لَا مَرَاءٌ
عَرَاهُ وَلَا مَلَامٌ وَلَا مَلَالٌ
وَسِرُّ إِمَّا لِيُغَرِّ أَوْ لِيَسْهَلِ وَمِلُّ إِمَّا لِمَاءٍ أَوْ لِيَطْلِلِ
وَرُخٌّ لِلرَّاحِ وَاسِعٌ لِدَارِ أَهْلِ أَمَامِكَ وَالْوَرَاءِ سِرَاطٌ عَدْلٍ
سَوَاءٌ حَوْلَهُ حُطَّ الرَّحَالِ
سُعُودٌ طَوَالِجِ أَطْوَادِ جِلْمٍ رُءُوسُ عَسَاكِرِ أَطْوَادِ حُكْمٍ
رِمَاحُ مَعَارِكِ وَسِهَامُ سِلْمٍ صُدُورُ مَكَارِمِ وَأُصُولُ عِلْمٍ
أَعَدَّدُهَا كَمَا عُدَّ الرِّمَالُ
وَأَعْمَالُ لِعَامِلِهَا مَرَامٌ وَأَسْرَارُ لِمُرْسِلِهَا سَلَامٌ
وَأُمُوءُهَا لِوَارِدِهَا مُدَامٌ وَآرَاءُ لِمَادِحِهَا كَلَامٌ
وَأَلَاءُ لِحَامِدِهَا كَلَالٌ
مَلَاخُ سَطُورِهَا كَعُورِ عُرْسٍ أَكْرَرُ دَوْرَهَا كَدُورِ دَرْسٍ
أَكْمَلُهَا لَكُمْ لِكَمَالِ حَدْسٍ لَكُمْ حَمَلُ الرَّسُولِ سَطُورَ طُرْسٍ
مَطَالِغُهَا كَمَا طَلَعَ الْهَلَالُ
سَوَارِحُ مَا حَوَارِسُهَا سِوَاهَا وَآرَامُ حَوَاسِدِهَا مَهَاها
صَوَارِمُهَا صَدَاهَا مَا غَلَاها سَطُورُ كَالْعُورِ لَهَا حَلَاها
وَلَوْ أَهْدَاكُهَا كَلِمٌ عَطَالٌ

فكتب إليه بهذه الأبيات:

على مولى الرضى عبد الحميد
وهل تطفي التحيّة نارَ وجِدِ
بكيّت على النوى دهرًا كأنّي
وما كذبت بدعوى السّهد عيني
تطاوَل بيننا بينٌ مديدٌ
فظل الصبر عندي في انتِقاَصِ
هويّت رجالَ بغدادٍ قديمًا
هويّت ابنَ الجوادِ لما أراه
أديبٌ في العراق له فيوضٌ
لقد أضحى لبيدٌ به بليدًا
هو البدر الذي يُلقى علينا
نرى في قلبه سعدَ الخبايا
يبادر في القرىض بكلّ معنى
مُناط النّجم عن كفٍّ وأذنى
إليك يساق في الفلوات طرسٌ
رجونا أن تكون له أمينًا
وقد وردَ الذي استخدمت ممّا
وما أشهرت ذكرك عن خمولٍ
وإنّي عاشقٌ غررَ المعاني
إذا طرسُ أتاني منك يومًا

تحيّتنا المسوّقة من بعيدٍ
تجلّ مع اللّقاء عن الخمودِ
تماضِرُ بنتُ عمرو بنِ الشّريدِ
فإنّ الفرّقدَيْنِ من الشّهودِ
ومن للنّفْسِ بالأجلِ المديدِ
وظلّ الشّوقُ عندي في مزيدِ
فدعني من ظبي وادي زرودِ
به من كلّ مكرمة وجودِ
جرت فاحضّر منها كلّ عُودِ
وصارَ له عُبيدٌ من العبيدِ
سنّاهُ في الدُّجى بيضَ البُودِ
وفوق جبينه سعدُ السُّعودِ
أنيسٌ ضمنَ قافية شُرودِ
إلى الأرواحِ من حبلِ الوريدِ
بعثناه على خيلِ البريدِ
وإن يكَ ليسَ عندك بالرشيدِ
تقلّدَ باسمِكُم أطواقَ جيدِ
ولكنّ كانَ تجديدُ العهودِ
ولستُ بعاشقٌ دُررِ العقودِ
فذاك اليومُ عندي يومُ عيدِ

وأرسل إليه محمد عاقل أفندي من الإسكندرية هذه الأبيات:

خذ العفو إنّي للوفاء حليفُ
لئن قصرتُ يُمناني عن بثِّ لوعتي
وما غرنّي إلّا ودادٌ مُؤكّدُ

وعُذري مَقبولٌ وأنتَ نصيفُ
فسرُّك يدري كُنْهها ويشوفُ
لدى مثله لا يُنظرُ التّكليفُ

وَحَاشَاكَ أَنْ تَجْفُو وَأَنْتَ رَعُوفٌ
بِوَادٍ بِهِ لِلْكَامِلِينَ كُهُوفٌ
فَتَذْنُو لِأَرَاكِ الْأَرَاءِ قُطُوفٌ
لِاسْتِثَارِ أَبْوَابِ الْغَرَامِ سُجُوفٌ
بِتَأْيِيدِ وَدٍّ لَيْسَ عَنْهُ خَلِيفٌ
وَلَمْ تَسْرِ مِنِّي لِلْجَنَابِ حُرُوفٌ
وَبِي خَجَلٍ مِنْهُ الْفَوَادُ كَلُوفٌ
لَهُ تَذَهَلُ الْأَلْبَابُ حِينَ يَحِيفُ
وَمَا هُوَ إِلَّا هَيْضَةٌ وَنَزِيفُ
وَكُلُّ طَبِيبٍ شَأْنُهُ مَوْصُوفٌ
جَنَانًا بِهِ رَكْبُ السُّرُورِ يَطُوفُ
طُرُوسًا وَهُمْ لِلْمُعْضَلَاتِ سُيُوفُ
وَجَاهُهُمْ لِلْقَاصِدِينَ مَنِيفُ
وَفِيهِمْ لَطِيفٌ أَلْمَعِيُّ وَظَرِيفُ
وَكَانَ بِهِمْ دَوْحُ الْكَمَالِ قَطِيفُ
فَبِيسٍ بَدِيلًا تَالِدٌ وَطَرِيفُ
وَلَمْ يَبْقُ مِنْ لُبِّي لَدَيَّ طَفِيفُ
وَمَهْمُورُ حُزْنِي أَجُوفٌ وَلَفِيفُ
جَنَانِي بِكُلِّ الْجُهْدِ مِنْهُ أَنْوْفُ
إِذَا طَفَّ لَا يَجْرِي لَدَيْهِ ضُفُوفُ
وَإِنْ أُلْتِ جَهْدًا إِنَّهُ لَعَسِيفُ
فَدَعَهَا وَلَا تَتَعَبْ فَسَوْفَ تَلُوفُ
ذُيُولُ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَعَطُوفُ
وَفِيَّ وَشَائِي فِي الْخُلُوصِ شَرِيفُ
لَأَذْنِي بِذِكْرِكَ لِلْهَنَا تَشْنِيفُ
فَمَا لَكَ مِثْلِي فِي الْوُجُودِ أَلِيفُ
وَعُذْرِي مَقْبُولٌ وَأَنْتَ نَصِيفُ

أَبَى قَدْرَكَ الْعَالِي سِوَى الْعَفْوِ وَالرِّضَى
أَيَّاسُ عَفْوًا مَنْ أَنَاخَ مَطِيَّةً
يَسِيلُ بِأَخْدُودِ السَّمَاحِ جَمِيلُهُ
سَقَى الْغَيْثُ أَسْبَابَ الْعِتَابِ فَإِنَّهَا
تُؤَيِّدُ آلَاءَ الْمَوَدَّةِ وَالْإِخَا
وَلِي مِدَّةٌ قَدْ عَاقَنِي الدَّهْرُ وَالْقَضَا
عَلَى الرَّغْمِ كَانَتْ لَا بِقَصْدٍ وَنِيَّةٍ
دَهَانَا بِوَادِي النَّيْلِ كَالسَّيْلِ حَادِثُ
دَعَاهُ بِرِيحِ أَصْفَرِ شَاخٍ ذِكْرُهُ
بِهِ اخْتَارَتْ الْأَفْكَارُ وَالْعَقْلُ وَالنَّهْيُ
فَلَمْ يُبْقِ دَارًا لَمْ يَزُرْهَا وَلَمْ يَذَرْ
ثَكْلَنَا رَجَالًا لِلزَّمَانِ نَعْدُهُمْ
تَرَاهُمْ لِيَوْمِ الْيَأْسِ وَالْبَأْسِ عُدَّةً
وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ ذَوْقٍ وَفِطْنَةٍ
لَقَدْ أَقْشَبَتْ أَقْطَارُ مِصْرَ لِفَقْدِهِمْ
نَاوًا وَأَقَامُوا بَارِحَ الْحُزْنِ فِي الْحَشَى
فَشَيَّعَهُمْ عَقْلِي وَفِكْرِي وَفِطْنَتِي
وَنَاقِصُ أُمْتَالِي صَاحِبُ مَضَاعِفُ
ذُهِلْتُ فَلَمْ أُحْسِنْ قَرِيضًا وَلَمْ يُطْعَ
أَلَيْسَ وَأَنَّ الشُّعْرَ كَالسَّيْلِ عَزْمُهُ
وَإِنْ أَقْلَعَتْ عَنْهُ السَّمَاءُ فَعَامُهُ
فَإِنْ نَفَرَتْ مُهْرُ الْقَرِيضِ وَأَجْمَحَتْ
رَعَى اللَّهُ مَنْ يُسْدي عَلَى الْخِلِّ إِنْ غَفَا
حَنَانِيكَ إِنِّي فِي وِدَاكِ صَادِقُ
أَلَّوِي عَنَانًا عَنْ هَوَاكِ وَلَمْ يَزَلْ
فَجَدُّ لِي بِمَا فِي النَّاسِ لَا زِلْتُ أَهْلُهُ
لَعَمْرُكَ مَا قَصَّرْتُ إِلَّا لِعَائِقِ

فقال يجيبه:

وَأَقْبَلَ مِنْ ضَاحِي الْمَشِيبِ رَدِيفُ
وَأَيُّ رَبِيعٍ لَا يَلِيهِ خَرِيفُ
كَذَلِكَ يَمْضِي تَالِدٌ وَطَرِيفُ
أَسَاطِيرُ لَا تُقْرَأُ لَهُنَّ حُرُوفُ
وَتَبْكِي مِئَاتِ حَوْلِهِ وَالْوُفُ
تَسَاوَى خَسِيسٌ عِنْدَهُ وَشَرِيفُ
كَطُوفَانِ نُوحٍ حِينَ كَانَ يَطُوفُ
نَشَبْنَ وَفِي الْأَعْنَاقِ مِنْهُ سَيُوفُ
تَفَرَّقَ فِي عَرْضِ الْبِلَادِ لَفِيفُ
وَكَمْ رَغِمَتْ لِلْمَالِكِينَ أَنْوُفُ
فَتَنَجُّوْا وَلَا تُنْجِيكَ مِنْهُ كُهُوفُ
وَيُبْصِرُ فِي الدَّيْجُورِ وَهُوَ كَثِيفُ
كَمَا ضَلَّ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ كَفِيفُ
وَذَاكَ فَلِي دَاعِي الْمَنُونِ حَلِيفُ
لَطِيفٌ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ لَطِيفُ
خَبِيرٌ بِأَحْكَامِ الزَّمَانِ حَصِيفُ
وَلَكِنْ صَبْرِي فِي الْبَلَاءِ ضَعِيفُ
وَضَخْمُ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبُورِ خَفِيفُ

تَقَلَّصَ ظِلُّ الشَّبَابِ وَرِيفُ
وَأَيُّ صَبَاحٍ لَا تَلِيهِ عَشِيَّةُ
عَلَى مِثْلِ هَذَا قَدْ مَضَى الدَّهْرُ وَانْقَضَى
سَوَادُ اللَّيَالِي فِي بَيَاضِ نَهَارِهَا
خَلِيلِي مَا لِلنَّاسِ يَضْحَكُ وَاحِدُ
لَقَدْ شَنَّ هَذَا الدَّهْرُ غَارَةَ جَاهِلِ
بَلَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ غَامِرُ
لَهُ بَيْنَ أَكْبَادِ الرِّجَالِ مَخَالِبُ
كَمْ اِعْتَلَّ فِي الدُّنْيَا صَاحِبُ وَكَمْ وَكَمْ
وَكَمْ صَدَعَتْ لِلْفَاتِكِينَ مَفَارِقُ
هُوَ الْبَيْنُ لَا تَذْرِي طَرِيقًا لَوْفِدِهِ
وَيَدْخُلُ بَابَ الْحِصْنِ وَهُوَ مَوْصَدُ
وَأَعْجَبَ كَيْفَ النَّاسُ ضَلُّوا عَنِ الْهُدَى
إِذَا مَا رَأَى الْمَيِّتَ الْفَتَى قَالَ مَا أَنَا
عَلَيْكَ سَلَامٌ يَا مُحَمَّدُ مُرْسَلُ
أُحَاشِيكَ مِنْ جَهْلٍ فَلِإِنَّكَ عَاقِلُ
شَكُوتُ الَّذِي تَشْكُوهُ مِنْ هَوْلٍ بَاسِهِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْجَزُوعِ ثَقِيلَةٌ

وكتب إليه السيد شهاب الدين العلوي من بغداد بهذه الأبيات (تقريبًا على مقاماته مجمع البحرين):

فَضْلًا مَقَامَاتُهُ وَالْفَضْلَ قَدْ جَمَعَتْ
لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمٌ إِنَّهَا وَسَعَتْ
شُمُوسُهُ فِي سَمَاءِ السَّعْدِ قَدْ طَلَعَتْ
عَنْهَا الْقَوَاعِدُ فِي الْإِعْرَابِ فَارْتَفَعَتْ

هَذَا الْمُصَنَّفُ فَوْقَ الْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ
فَفِي الْبِلَادِ إِذَا دَارَتْ فَلَا عَجَبُ
وَالْمُشْتَرِي نُسْخَةً مِنْهَا يُطَالِعُهَا
تَسَنَّمَتْ غَارِبَ الْإِعْرَابِ فَانْخَفَضَتْ

فَادْخُلْ بِهَا عَالِمًا مِنْ قَبْلَمَا قَرَعْتَ
بِمِثْلِهَا قَالَ أَذُنُ الدَّهْرِ مَا سَمِعَتْ
بِأَنْ يَقُولَ مَقَامَاتِي قَدْ اتَّضَعَتْ
لَنَا شَمَارِيخُهَا امْتَدَّتْ وَقَدْ يَنْعَتْ
وَمَنْ يَشَأْ يَتَفَقَّهْ بِالَّذِي شَرَعَتْ
وَانْظُرْ إِلَى صُورَةِ الدُّنْيَا وَقَدْ نَصَعَتْ
وَرَدًا وَمِنْ قَلْبِ ذَاكَ الصَّدْرِ قَدْ نَبَعَتْ
غَابَتْ عَنِ الرَّائِبِ الْمِفْضَالِ وَامْتَنَعَتْ
جَرَّبَتْ تَجْدُهَا لِلدَّفْعِ الدَّاءِ قَدْ نَفَعَتْ
عَنْ غَيْرِهَا فَطَمَ الْأَلْبَابَ مَا رَضَعَتْ
عَنْهَا النِّقَائِصُ تَهْدِيئًا قَدْ انْخَرَعَتْ
لُطْفًا مَقَامَاتُ نَاصِيفِ اللَّيْلِ طَبَعَتْ

أَبْوَابُ تَصْرِيفِهَا الْفَتْاحُ يَسْرَهَا
أَشْعَارُهَا الْأَصْمَعِي لَوْ كَانَ يُنْشِدُهَا
ثُمَّ الْحَرِيرِيُّ آخَرَى لَوْ يَقَاوِمُهَا
حَدِيقَةُ أَثْمَرَتْ أَوْرَاقُهَا حِكْمًا
فَمَنْ يَشَأْ يَتَفَقَّهْ فِي مَنَاقِبِهَا
طَالِعُ تُقَابِلِكَ مِرَاةَ الزَّمَانِ بِهَا
كَمْ أَوْدَعَتْ نُبْدًا لِلْسَّمْعِ قَدْ عَذَبَتْ
مُحَاضِرَاتُ بِهَا الْحُضَارُ رَاغِبَةٌ
صَحَّتْ بِهَا عَلَلٌ فِي الطَّبِّ نَافِعَةٌ
يَتِيمَةٌ رَبٌّ مَتَّعْنَا بِوَالِدِهَا
تَمَّتْ كَمَالًا وَقَدْ جَاءَتْ مُنْزَهَةً
عَلَى الْكَمَالِ طَبَعُ اللَّطْفِ أَرْحَهَا

سنة ١٨٥٥

فقال يجيبه بهذه الأبيات:

أَلْحَاضُهَا بِفَوَادٍ فِيهِ قَدْ رَتَعَتْ
وَلَيْتَهَا حَاسِبَتَنِي بِالَّذِي قَطَعَتْ
ظُبِّي إِذَا نَفَرْتُ مِسْكُ إِذَا سَطَعَتْ
لَوْمْ عَلَيْهَا فَمِنْ أَثْوَابِهَا خَلَعَتْ
فَإِنَّهَا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ قَدْ طَلَعَتْ
كِتَابُ أَنْسٍ وَقَدْ غَابَتْ فَلَا رَجَعَتْ
فَتَلْكَ أَرْضُ لَأَهْلِ الْفَضْلِ قَدْ جَمَعَتْ
فَدَوْلُهُ الْعِلْمُ مِنْهَا قَطُ مَا انْقَطَعَتْ
مَنَارَةُ الْعِلْمِ فَوْقَ النَّجْمِ قَدْ رَفِعَتْ
أَقْلَامُ صِدْقٍ بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ صَدَعَتْ
عَقْدُ فَرِيدَتِهِ بَغْدَادُ قَدْ وَضَعَتْ
تَسْعَى إِلَى الْكَعْبَةِ الْحُجَّاجُ حِينَ سَعَتْ

سَلِ ابْنَةُ الْقَوْمِ هَلْ تَدْرِي بِمَا صَنَعَتْ
مَلِيحَةٌ قَطَعَتْ مِنْ مُهَجَّتِي طَرَفًا
صُبْحُ إِذَا سَفَرْتُ غُصْنُ إِذَا خَطَرْتُ
أَجْفَانُهَا خَلَعَتْ سُقْمًا عَلَيَّ وَلَا
لَبْنُ تَكُنْ عَنِ سَوَادِ الْعَيْنِ غَائِبَةً
وَإِنْ أَتَى مِنْ شِهَابِ الدِّينِ مُقْتَبَسًا
حَيِّ الْحَيَا أَرْضُ زُورَاءِ الْعِرَاقِ ضَحَى
لَبْنُ مَضَتْ دَوْلَةُ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ بِهَا
فِيهَا الرِّجَالُ الْمَشَاهِيرُ الَّذِينَ بِهِمْ
مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ وَارِي الزُّنْدِ فِي يَدِهِ
كُلُّ الْبِلَادِ وَإِنْ جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا
تَسْعَى إِلَيْهَا الْقَوَافِي السَّائِرَاتُ كَمَا

أَرْضُ تَشْوَقُ إِلَى مَرَأَى مُحَاسِنِهَا
حَسِبْتُهَا فَلَكًا إِذْ قِيلَ إِنَّ بِهَا
مَاذَا أَقْرَظُ مِنْ ذَاكَ الْمَقَامِ عَلَى
لَيْسَ الشَّهَادَةُ مِنْ ضَعْفِي بِنَافِعَةٍ

وأرسل إليه أسعد أفندي طراد هذه الأبيات:

إِلَى كَمْ فُؤَادِي يَطْلُبُ الْعِشْقَ وَالْحُبَّ
عَرَفْتُ بَأَنَّ لَا يَعْرِفُ الْوَدَّ وَالْوَفَا
غَزَالَةُ إِنْسٍ بَاتَ قَلْبِي لَهَا حِمَى
تَصِيدُ وَلَكِنْ لَا تُصَادُ عَلَى الْمَدَى
تَقُولُ اضْطَبِرْ فَالضَّبْرُ لِلْقَلْبِ وَاجِبُ
أَطْمَعُ مِنْهَا بِالْوَصَالِ وَلَمْ أَكُنْ
لَقَدْ سَلَبْتَنِي ثُمَّ بَانَتْ وَطَالَمَا
وَقَدْ خَافَ نَوْمِي أَنْ يَبِيتَ بِمَدْمَعِي
وَقَدْ جَزَمْتُ عَنْ نَاطِرِي الْيَوْمَ وَجْهَهَا
نَصَبْتُ لَهَا قَلْبِي لِتَرْفَعَ جَزْمَهَا
قَدْ انْتَسَبْتَ لِلْعُرْبِ مَنْ أَبْدَعُوا الْوَفَا
إِلَى الْيَازِجِيِّ الْيَوْمَ تَسْعَى رِكَابُنَا
لَنْ دُثِرَتْ كُتُبُ الْأُولَى قَدْ تَقَدَّمُوا
يُرِيكَ يَرَاعَا فِي يَدَيْهِ إِذَا التَّقَى
وَأَصْعَبُ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَنَعُ فَضْلِهِ
عَجِبْنَا لَهُ إِذْ حَلَّ فِي الْأَرْضِ مِثْلُنَا
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَحْوُهُ جِئْتَ سَائِلًا
إِلَى الشَّرْقِ يَأْتِي الْبَدْرُ حَتَّى يُبِيرَهُ
يُعَلِّمُ سَحَابَانَ الزُّكَا وَابْنَ مُقْلَةٍ
وَمَنْ مِثْلُنَا فَوْقَ الثَّرَى وَهُوَ بَيْنَنَا
كَفَى أَرْضُنَا فَخْرًا عَلَى أَرْضِ غَيْرِنَا

وَلَمْ أَرَ إِلَّا الْوَجْدَ وَالْوَعْدَ وَالْعُتْبَا
لَدَيْكَ وَلَا يَذْهَبُ الْمُحِبُّ لَهُ ذَنْبَا
عَلَيْهِ عُيُونِي قَدْ غَدَتْ تُمْطِرُ السُّحْبَا
وَتُسْبِي قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ وَلَا تُسْبِي
وَلَمْ تُبْقِ لِي لِلصَّبْرِ يَوْمَ النَّوَى قَلْبَا
سَمِعْتُ بِخَوْدٍ فِي الْهَوَى رَجِمَتْ صَبَا
لِإِجَابِهَا مَذْ قَدْ نَأَتْ أَطْلُبُ السَّلْبَا
غَرِيقًا فَقَدْ عَافَ التَّوَاصُلَ وَالْقُرْبَا
وَحَلَّتْ فُؤَادِي تَرْغَبُ السَّلْبِ وَالنَّهْبَا
فَقَدْ عَلَّمْتَنِي الرُّفْعَ وَالْجَزْمَ وَالنَّصْبَا
سَأَشْكُو جَفَاهَا لِلَّذِي وَرِثَ الْعُرْبَا
كَأَهْلِ الظَّمَا مِنْ بَحْرِهِ نَطْلُبُ الشُّرْبَا
مِنْ الْعُرْبِ هَذَا صَدْرُهُ جَمَعَ الْكُتْبَا
مَعَ الرُّمَحِ يَوْمَ الْحَرْبِ عَلَّمَهُ الْحَرْبَا
وَأَهْوَنُ شَيْءٍ أَنْ يَحُلَّ لَكَ الصَّعْبَا
وَمِنْ أَفْقِهَا قَدْ ظَلَّ يَبْدِي لَنَا الشُّهْبَا
فَقَبِلْ سُؤَالَ مِنْكَ تَنْظُرُهُ لَبَّى
فَلَمَّا يَرَاهُ فِيهِ يَطْلُبُ الْعَرْبَا
سُطُورًا بِلا مِثْلٍ وَجَالِيْنَسَ الطَّبَا
وَمَا مِثْلُهُ مَا بَيْنَ أَهْلِ الثَّرَى يَرْبَى
نَسِيمٌ عَلَيْهَا مِنْ لَطَائِفِهِ هَبَا

وفي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى نَرَاكَ لَنَا رَبًّا
مَعَانِيهِ لَمْ تُبْقَى لِأَهْلِ الْحِجَى لَبًّا
وَقَدْ حَسَدَتْهَا مِصْرٌ مَعَ حَلَبِ الشُّهْبَا
وَلَكِنَّ حَقَّ الْمَدْحِ عَنْ فِكْرِنَا يَغْبَى
يُعَدُّ مَا تَحَوَّاهُ قَدْ أَصْبَحُوا حِزْبَا

أَلَا يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّكَ فِي الزَّكَا
خَفِ اللَّهُ يَا نَاصِيفُ إِنَّكَ شَاعِرٌ
لَقَدْ حَسَدَتْ بَغْدَادُ فَيْكَ بِلَادَنَا
وَلَمْ يَغِبْ عَنَّا فَضْلُكَ الْيَوْمَ فِي الْوَرَى
نَظِيرُكَ وَالْعَنْقَاءُ وَالْغُولُ وَالَّذِي

فقال يجيبه:

فَهَاتِيكَ أَحْلَى زُورَةٍ تُنْعِشُ الصَّبَا
فَصَارَتْ لَهَا عَيْنًا وَصَارَتْ لَهُ قَلْبَا
مُنْعَمَةً الْخَدَّيْنِ تُصْبِي وَلَا تُصْبِي
وَيَا حَبِذَا لَوْ صَادَفْتُ مَنْزِلًا رَحْبَا
فَتَى نَالَ حِلْمَ الشَّيْخِ مِنْ قَبْلِ أَنْ شَبَا
وَتَغَضَّبُ إِنْ قُلْنَا لَقَدْ نَطَقْتَ كِذْبَا
إِلَى قِصَبِ السَّبْقِ الَّذِي حَارَهُ غَضْبَا
وَحَاضَ الْمَعَانِي قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْكُتْبَا
وَقَدْ سَلَ شَيْبِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَضْبَا
بِهَمَّتِهِ حَتَّى يُوسِّدَهَا التُّرْبَا
مِنَ الْعَيْشِ غُصْنٌ كَانَ مُعْتَدِلًا رَطْبَا
فَمَنْ عَاشَ فِي نَحْبٍ كَمَنْ قَدْ قَضَى نَحْبَا
هُوَ الْخَيْرُ نَسْتَسْقِي بِطَلْعَتِهِ السُّحْبَا
نَرَى عَجَبًا فِيهِ وَلَيْسَ نَرَى عُجْبَا
وَلَكِنْ لَعَمْرِي مَا حَسَبْنَا لَهُمْ ذَنْبَا
وَمَاذَا يَضُرُّ الْحَاسِدُونَ فَلَا عُتْبَا
عَطَاءً فَمَنْ ذَا يَسْتَطِيعُ لَهُ سَلْبَا

أَتَتْنِي بِلَا وَعْدٍ وَقَدْ نَضَتْ الْحُجْبَا
بَذَلْتُ لَهَا قَلْبِي وَعَيْنِي كِرَامَةً
مُضْمَخَةً بِالْمِسْكِ مَعْسُولَةً اللَّامِي
أَقُولُ لَهَا عِنْدَ الزِّيَارَةِ مَرْحَبَا
حَبَانَا بِهَا عَذْرَاءٌ مُتَرَفَةٌ الصَّبَا
أَتَتْنَا بِمَدْحٍ لَمْ تَكُنْ صَدَقْتَ بِهِ
لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمَ الطَّرَادِيَّ أَسْعَدُ
تَلَقَّفَ فَنَّ الشُّعْرَ مِنْ قَبْلِ دَرْسِهِ
يُطَارِحُنِي الشُّعْرَ الَّذِي فَرَّ مِنْ يَدِي
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ فَالشَّيْبُ لَاحِقُ
رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا فَإِنَّهَا
وَمَا كُلُّ ذِي رُوحٍ بِحَيٍّ حَقِيقَةً
سَقَى ابْنَ أَبِي الْخَيْرِ السَّحَابُ فَإِنَّهُ
إِذَا مَا تَأَمَّلْنَا جَمَالَ صِفَاتِهِ
لَقَدْ كَثُرَتْ فِي النَّاسِ حُسَادُ فَضْلِهِ
عَلَى مِثْلِ مَا قَدْ نَالَهُ يُحْسَدُ الْفَتَى
إِذَا أَوْجَبَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لِعَبْدِهِ

وتوفي الشيخ عبد الحميد الموصلي فرثاه بهذه الأبيات:

ما دام يَطْلُعُ فيها الشَّمْسُ والقَمَرُ
إلى زَمَانٍ فيَمْضِي ذَلكَ الخَبَرُ
على الحَيَاةِ فَضَاعَ الحِرْصُ والحَذَرُ
نِعَمَ الغُصُونُ وَلَكِنْ بِئْسَمَا التَّمَرُ
يَهِيمُ والشيخُ عَنْهَا لَيْسَ يَزْدَجِرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ نَهَاها الشَّيْبُ والكِبَرُ
يَفْطُنُ لَهُ بَشَرٌ مُذْ قَامَتِ البَشَرُ
ويُدْفَنُ الذِّكْرُ مَعَهُ حَيْثُ يُحْتَقَرُ
جَهْلًا ويا وَيْلَهُمْ إِنْ يَطْلُعَ السَّحَرُ
يا أَيُّهَا القَوْمُ هُبُوا قَدْ دَنَا السَّقَرُ
على الدِّمَارِ فلا تَبْقَى ولا تَذَرُ
لَكِنْ بِلَا يَقْظَةٍ لا تَنْفَعُ العِبَرُ
يَبْقَى ولا عاشِقٌ يُقْضَى لَهُ وَطَرُ
عَنَّا كَمَا شَاءَ حُكْمُ اللّهِ والقَدَرُ
وبانَ شَطْرُ فُوادي فَهُوَ مُنْقَطِرُ
فَجَاءَنِي غَيْرُ ما قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
رَضِيتُ بالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ
دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
كَالْكُوْثَرِ العَذْبِ لا يَغْتَالُهَا الكَدَرُ
فِي لَفْظِهِ لا وَلا فِي قَلْبِهِ وَضَرُ
لا تَزْدَهِيه بُدُورُ الأفقِ والبَدَرُ
وقَدْ طَوَتْ لَيْلَهُ الأَوْرَادُ والسُّورُ
بالْفَضْلِ يَشْهَدُ بَدُو الأَرْضِ والحَضَرُ
أَقْلَامُ والخُطْبُ الغَرَاءُ والسَّمَرُ
فَحَزْنُهُ فَوْقَ لُبْنانٍ لَهُ قَدَرُ
دارِ السَّلَامِ لَهُ الأَنْهَارُ تَنْفَجِرُ

لا عَيْنَ تَثْبُتُ فِي الدُّنَا ولا أَثَرُ
يُبْقَى لَنَا الخُبْرُ فِيهَا بَعْدَهُ خَبَرًا
يا طالَمَا طالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ
قَدْ غَرَّهمُ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وبَهَجَتُهَا
مَعْشُوقَةٌ فِي هَواها باتَ كُلُّ فَتًى
هَيْهَاتَ لا يَنْتَهِي عَن جَهْلِهِ أَبَدًا
مَضَى الزَّمَانُ على هذا الغُورِ فلمْ
ما زالَ يَدْفِنُ هذا الحَيَّ مَيِّتَهُ
النَّاسُ فِي جَنْحِ لَيْلٍ يَخْبِطُونَ بِهِ
لا تَنْقُضِي سَاعَةً حَتَّى تَقُولَ لَهُمْ
مَاذَا نُرْجِي مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي طُبِعَتْ
تُبْدِي لَنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي الْوَرَى عِبْرًا
هَيْهَاتَ لا صاحِبَ فِي الدَّهْرِ وا أَسْفا
قَدْ ماتَ عَبْدُ الحَمِيدِ اليَوْمَ مُنْقَطِعًا
مَضَى الشَّقِيقُ لِروحي فَهِيَ مُوحِشَةٌ
قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ البُشْرَى بِرُؤْيَيْهِ
إِنْ كانَ قَدْ فاتَ شَهِدُ الوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ
أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكَرُهُ
هذا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ
صَافِي السَّرِيرَةِ مَحْضُ الْوُدِّ لا مَلَقُ
عَفَ الإِزارِ حَصِيفُ زَاهِدٍ وَرَعُ
يَغْشى المَساجِدَ فِي الأَسْجارِ مُعْتَكِفًا
هُوَ الكَرِيمُ الجَوادُ ابْنُ الجَوادِ لَهُ
يَبْكِيهِ نَظْمُ القَوافي والصَّحائفُ والـ
لا غَرَوْا إِنْ أَحْزَنَ الزُّوراءُ مَضْرَعُهُ
وَإِنْ يَكُنْ فَاتَهُ نَهْرُ السَّلَامِ ففِي

مَضَى إِلَى اللَّهِ حَيَّيْ اللَّهَ طَلَعَتْهُ
لَنْ سَلَاهُ فُؤَادِي مَا بَقِيَتْ فَقَدْ
لَا أَفْلَحَ الْبَيْنُ مَا أَمْضَى مَضَارِبُهُ
نَسَعَى وَنَجْمَعُ مَا نَجْنِي فَيَسْلِبُهُ
إِنَّ الْحَيَاةَ كَظَلٍّ مَالٍ مُنْتَقِلًا
هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي تُفْضِي إِلَى خَطَرٍ
نُمْسِي وَنُصْبِحُ فِي خَوْفٍ يَطُولُ بِهَا
إِذَا انْجَلَتْ غَمْرَةٌ قَامَتْ صَوَاحِبُهَا

بِالْمَكْرُمَاتِ وَحَيَّيْ تَرْبَهُ الْمَطَرُ
رُكِبْتُ فِي الْحَبِّ ذَنْبًا لَيْسَ يُغْتَفَرُ
كَالْبَرْقِ يُخْطَفُ مِنْ إِيْمَاضِهِ الْبَصَرُ
مِنَّا جَزَافًا وَيَمْضِي وَهُوَ مُفْتَقِرُ
إِلَى حَيَوَةٍ بَدَارِ الْخُلْدِ تَنْتَظِرُ
وَحَبْدًا السَّيْرِ لَوْلَا ذَلِكَ الْخَطَرُ
فَلَا يَطِيبُ لَنَا وَرْدٌ وَلَا صَدْرُ
فَلَيْسَ تَنْفَكُ عَنْ تَارِيخِهَا الْغَمْرُ

سنة ١٢٧١

ولما وصلت هذه المراثية إلى بغداد قال السيد شهاب الدين العلوي مُقَرِّظًا لها:

وَأَفَتْ فَعَزَّتْ بِتَأْسَاءٍ وَتَعَزِيَةٍ
مَرَثِيَّةٍ وَالْحَكِيمُ الْحَبْرُ صَوَّرَهَا
بِمِثْلِ تَعْدِيدِهَا يَا مَنْ يُنَاوِجُهَا
فِي كُلِّ قَلْبٍ أَقَامَتْ مَاتِمًا وَعَزَا
فَلَوْ وَعَى الْبَحْرُ يَوْمًا مَا بِهِ نَدَبَتْ
نَوْحَ النُّوَّاحِ عَلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ عَدَا
لَمْ يَنْجُ لَوْلَاكَ يَا لُبْنَانُ مِنْ غَرَقٍ
مُوحَّدًا كَانَ فِي أَتْرَابِهِ أَدَبًا
إِنْ رُمَتْ يَا عِلْمَ الْأَعْلَامِ مَعْرِفَتِي
إِنِّي أَمْرُو خَادِمِ الدَّارِ الَّتِي عَمَرْتُ
مُعَلِّمٌ هَدَى أَبْنَاءَهُ الْأَوَّلَى صَغُرُوا
يَا مَنْ إِذَا مَا رَثَى مَيِّتًا يَكَادُ بِمَا
وَفَيْتِ وَالنَّاسُ فَضْلًا عَنْ وَفَائِهِمْ
وَعِنْدَكَ الْعِلْمُ بِالدُّنْيَا وَغَايَتِهَا
مَوَدَّتِي يَا نَصِيفَ الرُّوحِ صَافِيَةٌ

عَلَيْهِمَا يَحْسُدُ الْأَحْيَاءُ مَنْ قُبِرُوا
مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي قَامَتْ بِهَا الصُّورُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبَ الْمَوْتِ يُغْتَفَرُ
وَأَوْدَعْتَ أَسْفَا لِلْحَشْرِ يُدَكَّرُ
لَجَفَّ وَالنَّارُ فِي أَحْشَاهُ تَسْتَعِرُ
غَرِيقٌ أَدْمَعُهُ تَجْرِي بِهِ الْفِكْرُ
فَأَنْتَ جَوْدِيَّةٌ وَالِدَمْعُ يَنْهَمِرُ
وَالْيَوْمَ قَدْ ثَلَّثَتْهُ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ
خَذَهَا فَلَيْسَ عَلَى تَعْرِيفِهَا نَكْرُ
فِيهَا الْمَعَالِي لِمَوْلَى جَدُّهُ عَمْرُ
سِنًا وَفِي الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ قَدْ كَبُرُوا
رَثَاهُ يُحْيِيهِ لَوْلَا اللَّهُ وَالْقَدَرُ
مِنْ غَيْرِ مَا خَلَلَ بِالْخَلِّ قَدْ غَدَرُوا
وَعَنكَ مِنْ مُبْتَدَاهَا يُزْفَعُ الْخَبْرُ
وَبَحْرُ شِعْرِي كَدَهْرِي كُلُّهُ كَدْرُ

أَسَدَيْتَ سَلَوَةً مَحْزُونٍ مُؤَرَّخَةٍ أَسَدَى رِثَاءً بِهِ السَّلَوَانُ وَالْعِبَرُ

سنة ١٢٧١

وورد منه مع هذا التقريط تشطيرٌ لقصيدته التي مدح بها ملكة الدولة الإنكليزية.
وهو هذا:

فَكَمْ رَجَالٍ لَنَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
لَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ حَتَّى يَشْهَدَ الْعَمَلُ
دُمُوعُهَا بِالْجَوَى تَجْرِي وَتَنْهَمِلُ
وَأَتْرَكَ الشُّوقَ وَالْأَنْفَاسَ تَشْتَعِلُ
غَرَامِكِ الْحُجَّةَ الْبَيِّضَا بِهَا الشُّغْلُ
فَوَدَيْكَ مِنْ لَوْنِهَا مَا لَيْسَ يَرْتَحِلُ
كَسَيْتَ مَا حَاكَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ مَلَلُ
تَضَاكَكَتْ مِنْ هَوَاكَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ
وَلَا يَبَاعُ بِمَا يَغْلُو فَيَبْتَدِلُ
حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ بَدَلُ
يَضِيقُ عَنْ وُسْعِنَا لَوْ يَقْصُرُ الْأَمَلُ
كَالدَّارِ يَبْقَى لَنَا مِنْ بَعْدِهَا طَلَلُ
كَمَا لِكُلِّ نَدِيمٍ عِنْدَهُمْ نَقْلُ
وَكُلُّ عَصْرِ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ دَوْلُ
فَلِلْخَوَارِجِ مِنْهَا الْجِزْيُ وَالْخَزْلُ
وَقَامَ مِنْ قَبْلِهَا أَسْلَافُهَا الْأَوَّلُ
حَتَّى بِهَا ابْتَهَجَ الْأَبْكَارُ وَالْأَصْلُ
إِنَّ الثَّمَارَ مِنَ الْأَغْصَانِ تُبْتَدِلُ
كَمَا بِدَوْلَتِهَا يُسْتَحْسَنُ الْجَدْلُ
وَلَيْسَ يَحْسُنُ فِيهَا الْجُبْنُ وَالْبُخْلُ
دَهْرًا عَلَيْهِنَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَضَلُوا
حَتَّى أَتَتْ فَأَصَابَ الْمُدَّعِي الْخَجَلُ

إِنْ قُلْتَ وَيَحَكَ فَاغْلُ أَفِيهَا الرَّجُلُ
فَاعْمَلْ تُصَدِّقْ بِقَوْلِ أَنْتَ قَائِلُهُ
تَقُولُ أَسْلُو الْهَوَى وَالْعَيْنُ دَامِيَّةٌ
وَأَحْسَبُ الْعِشْقَ نَارًا قَدْ وَرَتْ وَخَبَتْ
مَا زِلْتَ تَهْوَى الطَّلَى حَتَّى أَقَامَ عَلَى
وَرُحْتَ بِالْبَيْضِ مَشْغُوفَ الْفُؤَادِ وَفِي
إِذَا كَسَاكَ بَيَاضُ الشَّيْبِ رَائِعَةٌ
وَإِنْ تَضَاكَكَ فَوْقَ الرَّأْسِ أَبْيَضُهُ
هَيْهَاتَ لَيْسَ لِأَيَّامِ الصَّبَا عَوُضُ
نَفِيسُ عُمْرِكَ لَا تَلْقَى بِهِ بَدَلًا
هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي أَبَقْتَ لَنَا طَرْفًا
أَبَقْتَ لَنَا أَثَرًا لَا عَيْنٌ تَنْظُرُهُ
لِكُلِّ كَأْسٍ شَرَابٌ يُسْتَحَبُّ لَهَا
وَكُلُّ قُطْرٍ لَهُ مَنْ يُرْتَضَى مَلِكُ
الْيَوْمِ قَامَتْ فَتَاةُ الْمُلْكِ بَارِزَةٌ
قَدْ أَقْعَدَتْهُمْ عَلَى الْأَعْجَازِ سَطُوتُهَا
فَرَعُ الْأُصُولِ الَّتِي مَرَّتْ وَبَهَجَتْهَا أَلْ
غُصْنُ زَكَ عَنْ جَرَائِمِ الْعُلَى ثَمَرًا
يُسْتَحْسَنُ الْمُلْكُ فِيهَا وَالْخُضُوعُ لَهَا
وَيَحْسُنُ الْجُودُ فِيهَا مَعَ شَجَاعَتِهَا
بَاهَى الرِّجَالُ نِسَاءَ الدَّهْرِ وَأَفْتَحَرُوا
ثُمَّ ادَّعَى الْكُلُّ مِنْهُمْ مَا يَلِيقُ بِهِ

إِذَا صَفَا لَكَ نُورُ الشَّمْسِ فِي فَلَكٍ
وَجَاوَزَتْ فِي الْمَعَالِي كُلَّ مَنْزِلَةٍ
بَقِيَّةٌ مِنْ مُلُوكِ الدَّهْرِ قَدْ ذُخِرَتْ
وَلِلْمَعَالِي خَبَايَا وَهِيَ قَدْ فَضَلَتْ
فِي قَلْبِهَا خَاتَمُ التَّقْوَى وَفِي يَدِهَا
مَلِكَةُ طَيِّعِ الْفَخْرِ الْأَثِيلُ لَهَا
تُدَبِّرُ الْأَمْرَ فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَةٍ
قَصِيحُهَا يَسْبِقُ الدَّانِي لِطَاعَتِهَا
فِي كُلِّ نَجْدٍ لَهَا غَوْرٌ تَمَهَّدُ
وَكُلُّ صَعْبٍ لَهَا لَانَتْ شَكِيمَتُهُ
قَدْ أَدَبَتْ كُلَّ نَفْسٍ فِي جَوَانِبِهَا
فَلَمْ تَدْعُ مِنْ بَلِيدٍ فِي الْبِلَادِ بِهَا
تَلْوِي الرِّيحِ مِثَانِي الرَّمْلِ عَاصِفَةٌ
وَيَغْتَدِي الْكُونُ مُغَبَّرَ الْجِهَاتِ بِهَا
فِي ظِلِّهَا لِلْوَرَى مِنْ كُلِّ طَارِقَةٍ
وَعِنْدَهَا لِأَمْرِ مِنْ دَهْرِهِ وَجَلٍ
إِذَا انْتَنَى صَوْلَجَانُ الْمُلِكِ فِي يَدِهَا
وَمِحْجَنُ السَّعْدِ إِنْ أَبْدَاهُ سَاعِدُهَا
تَصْمِي بِأَهْدَافِهَا الرَّامِي وَلَوْ رَشَقَتْ
وَإِنْ تَشَأْ أَوْتَرَتْ قَوْسَ السَّمَاءِ وَرَمَتْ
لَهَا مِنَ الرَّأْيِ جَيْشٌ تَحْتَ رَايَتِهِ
قَوِيَّةُ الْجَاشِ قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ لَهَا
يَظُلُّ فِي الْبَحْرِ مِنْ أَطْبَاقِهِ لُجْجٌ
جَيْشٌ بِإِطْلَاقِهِ لِلْبَحْرِ رَجَفَتُهُ
إِذَا سَقَى الْقَوْمَ كَاسًا مِنْ وَقَائِعِهِ
وَقَبْلُ إِذْ لَمْ تَدْرِ يَوْمًا مُكَرَّرَةً
أَفْدَى الَّتِي لِبَسَتْ مِنْ مَجْدٍ دَوْلَتِهَا

صَافٍ بِصَفْحَتِهِ لَا يُعْهَدُ الْخَلَلُ
فَمَا الَّذِي تَفْرِقُ الْجَوَازِ وَالْحَمَلُ
نِعْمَ الذَّخِيرَةُ أَبْقَاهَا لَنَا الْأَزَلُ
وَأَفْضَلُ الشَّيْءِ مَا يُخْبِي فَيَعْتَزِلُ
سِوَارُ حُكْمٍ بِهِ الْمُعْجُزُ يَعْتَدِلُ
مِنْ خَاتَمِ الْمُلِكِ مَا يَجْرِي بِهِ الْمَثَلُ
مِنْهَا الْمَسَاحَةُ بِالسَّدَيْنِ تَتَّصِلُ
كَأَنَّ أَطْرَافَهَا الْقُصُوى لَهَا حِلُّ
وَكُلُّ حَرْبٍ بِهِمْ مِنْ حَرْبِهَا وَجَلُ
وَكُلُّ سَهْلٍ بِهِ مِنْ خَوْفِهَا جَبَلُ
بِالسَّيْفِ مَنْ جَهِلُوا وَاللُّطْفِ مَنْ عَقَلُوا
حَتَّى تَأْدَبَ فِيهَا الصَّقْرُ وَالْوَعْلُ
عَصْفًا تَكَادُ بِهِ تَصْدَعُ الْقَلْلُ
حَتَّى تُصِيبَ أَرْضِيهَا فَتَعْتَدِلُ
جَمَايَةً وَلَهَا مِنْ عِزِّهَا ظُلُّ
أَمْنٌ وَفِي قَلْبِهَا مِنْ رَبِّهَا وَجَلُ
دَانَتْ لَهُ كُرَّةُ الدُّنْيَا فَتَنْفَتِلُ
تَحَطَّمَتْ مِنْهُ بَيْضُ الْهَنْدِ وَالْأَسْلُ
بِنَظَرَةٍ فَلَهَا يُسْتَهْدَفُ الْجَلُّ
بِأَسْهُمِ الشُّهُبِ عَنْ قَوْسِ الْهَوَى تَعْلُ
قَرَّ الصَّوَابُ وَقَرَّ الرِّيغُ وَالرَّزْلُ
جَيْشٌ بِهِ تَأْمُرُ الدُّنْيَا فَتَمْتَثِلُ
عَلَى الْمَجَرَّةِ مِنْهَا الذُّيْلُ يَنْسَدِلُ
تَعْلُو وَفِي الْبَرِّ مِنْ أَخْفَاقِهِ زَجَلُ
فَالْقَرْمُ مِنْهُمْ صَرِيحٌ بِالرَّدَى ثَمَلُ
كَفَاهُمْ النَّهْلُ أَنْ يُسْتَأْنَفَ الْعَلُّ
مَا عَنْهُ سَابُورٌ عَارٍ مَجْدُهُ عَطِلُ

تاجًا فَهَانَ عَلَيْهَا الْحَلِيُّ وَالْجَلَلُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ ثَنَيْتَ بِالشَّمْسِ يَا رَجُلُ
بَيْنَ الْكَرَائِمِ حَتَّى لَيْسَ يُنْتَحَلُ
بِبَحْرِهِ الْيَوْمَ أَهْلُ الْعَصْرِ وَالْأَوَّلُ
فِيهِ الْمُلُوكُ وَلَمْ يَلْحَقْ بِهَا بَلَلُ
خَسَفٌ وَلَا كَلَفٌ كَلًّا وَلَا ضَأْلُ
نَقْصُ الْبُدُورِ وَلَا يَغْتَالُهَا الطَّفَلُ
تُسَامِرُ الْفِكْرَ وَقَادًا فَيَسْتَعِلُ
عَلَى الْعِبَادِ فَنَامَتْ حَوْلَهَا الْمُقْلُ
قَدْ اسْتَنَارَتْ بِهِ مِنْ حَلِّهِ السُّبُلُ
يَذْنُو وَلَوْ أَنَّهُ فِي بُعْدِهِ زُحْلُ
إِنَّ الثَّنَاءَ بِهِ عَنْ مَدْحِهَا كَلُّ
مِنْ صَيِّتِهَا قَدْ دَعَنْتَنِي قَبْلَكَ الرُّسُلُ
جُودًا وَجَاهًا عَلَى الْإِفَاقِ تَشْتَمِلُ
إِنَّ الدَّرَارِي إِلَيْنَا ضَوْؤُهَا يَصِلُ

وَمَنْ حَبَّتْهَا الْمَعَالِي مَا يَلِيقُ بِهَا
صَانَ الْقَرِيضَ عَنِ الدَّعْوَى تَفَرَّدُهَا
وَمَلَّ مُنْتَحِلًا مَثْنَى تَوَحَّدُهَا
قَدْ هَاجَ إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْفُ غَارِقَةٌ
وَأُغْرِقَتْ وَهِيَ مَوَاجٌ وَمُضْطَرِبٌ
كَالشَّمْسِ بَيْنَ بُدُورٍ لَا يِلْمُ بِهَا
وَلَيْسَ يَعْتَادُهَا وَهِيَ الَّتِي كَمَلَتْ
قَرِيرَةً الْعَيْنِ تَرَعَى الْمُلْكَ سَاهِرَةً
تَسْتَيْقِظُ الْهَمَّةَ الْكُبْرَى لَهَا حَذَرًا
لِمُشْكِلِ الرَّأْيِ فِي أَجْفَانِهَا قَمَرٌ
مُسْتَعْبَدٌ وَمِنْ الْعَيْنَيْنِ نَيْرُهُ
يَا مَنْ دَعَانِي إِلَى صَوْنِ الثَّنَاءِ لَهَا
وَلَسْتُ أَوَّلَ دَاعٍ لِلثَّنَاءِ دَعَا
لَا يَمْنَعُ الْبُعْدُ جَدْوَاهَا وَشَهْرَتَهَا
فَلَمْ أَقْلُ بَعُدَتْ عَنَّا عِنَايَتُهَا

فكتب إليه بهذه الأبيات:

عَلَى خَجَلٍ فَلَيْسَ الْفَرْقُ دَانٍ
عَلَى طَعْنٍ يَشْقُ بِلَا سِنَانٍ
فَكَانَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
فَكَانَ لَهَا الْعَذَارُ كَصَوْلَجَانٍ
يَشْقُ عَلَى لِسَانِ التَّرْجُمَانِ
عَلَيَّ الدَّمْعُ ثَوْبَ الْأَرْجَوَانِ
أَرَى الْإِحْسَانَ فِي حُبِّ الْحَسَانِ
وَلَسْتُ لِصَاحِبِي الْعُلُوِّ ثَانٍ
بِحُبِّ الْعِلْمِ عَنْ حُبِّ الْغَوَانِ
يُضِيءُ عَلَى أَقَاصِي الْمَغْرِبَانِ

لِهَذَا الْفَرْقُ دَانَ الْفَرْقِدَانِ
وَهَذَا الْقَدُّ تَحْسُدُهُ الْعَوَالِي
بِرُوحِي وَجَنَّةٌ لَاحَتْ وَفَاحَتْ
عَلَيْهَا الْخَالُ قَامَ كَتَاخُ مُلْكٍ
عَذَارُ خَطِّ بِالرَّيْحَانِ سَطْرًا
كَسَاهَا سُنْدُسًا خُضْرًا فَالْتَقَى
أَقُولُ لِعَاذِلِي مَهْلًا فَإِنِّي
فَلَسْتُ نَظِيرَ صَاحِبِكُمْ أُوَيْسٍ
شَهَابُ الدِّينِ فِي الدُّنْيَا غَيٌّ
شَهَابُ الدِّينِ فِي الزُّورِ نُورٌ

تَوَى أَرْضَ الْعِرَاقِ فَكَانَ غَيْثًا
فَعَنَّتْ وَرُقُ لُبْنَانَ ابْتِهَاجًا
أَتَانِي مِنْهُ تَقْرِيطٌ بَدِيعٌ
حَكَى عَقْدَ الْجُمَانِ وَلَيْسَ كُلُّ
عَلَى بَلَدِ السَّلَامِ وَسَاكِينِهَا
أَشَوْقُ عَلَى السَّمَاعِ إِلَى حِمَاها
تُرَى عَيْنِي تَرَى مَنْ لَا أَرَاهُ
لَيْنَ صَحَّ الزَّمَانُ لَنَا بِيَوْمِ

بِهِ تُرَوَّى الْأَبَاعِدُ وَالْأَدَانِي
وَقَدْ بَسَمَتْ تُغَوِّرُ الْأَقْطَانِ
تَفَنَّنَ فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ
يَلِيقُ بِجِيدِهِ عَقْدُ الْجُمَانِ
سَلَامُ اللَّهِ مِنْ غُرْفِ الْجِنَانِ
كَمَا اشْتَأَقَ الْمُحِبُّ عَلَى الْعِيَانِ
كَمَا حَكَمَ الْقَضَاءُ وَلَا يَرَانِي
فَذَاكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

وكتب إليه خليل أفندي الخوري بهذه الأبيات:

بَكَى وَهَاجَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ فَاثْتَحَبَا
يَهْوَى الْحِسَانَ الَّتِي تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
فَاكْغُفْ مَلَامَكَ عَنِّي إِنَّنِي دَنَفٌ
لِي مُهْجَةٌ تَلَفَّتْ فِي الْحُبِّ سَالِكَةٌ
وَأَهْيَفُ إِذْ لِي فِي حُبِّهِ تَلَفِي
ظَبْنِي أَطَالَ جَفَاهُ بِالْهَوَى غَضِبًا
حِرَابٌ مُقْلَتِهِ لِلْحَرْبِ مُرْسَلَةٌ
نَبِيٌّ حُسْنٌ لَهُ فِي الْوَجْهِ مُعْجَزَةٌ
رَقَّتْ لَطَائِفُهُ طَابَتْ ظَرَائِفُهُ
لَهُ مَقَامَاتٌ عَزَّ عَزَّ جَانِبُهَا
وَحَدُّهُ كَسْهَيْلٍ وَالْعَذَارُ بِهِ
الشَّاعِرُ النَّائِرُ الْمُبْدِي لَنَا عَجَبًا
ذَاكَ الَّذِي عَمَّتِ الْأَقْطَارُ شُهْرَتُهُ
رَبُّ الْفُنُونِ الَّذِي سَحَرُ الْبَيَانِ لَهُ
بِحَزْمِهِ وَمَعَانِيهِ وَهَمَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتَ اسْمَهُ فِي النَّاسِ مُفْتَخِرًا
رَقِيقٌ لَفْظٌ دَقِيقٌ الْفَهْمِ ذُو غَرَرٍ

صَبُّ لِمَعْنَى جَمَالِ الْغَانِيَاتِ صَبَا
لِذَاكَ خَاطِرٌ لَا يُخْشَى لَهُ عَطْبَا
لِي الْعَذَابُ بِأَسْقَامِ الْهَوَى عَذْبًا
سُبُلَ الْهَوَى وَفَوَادُ النَّوَى التَّهْبَا
قَدْ غَادَرَ الْقَلْبُ بِالْأَشْجَانِ مُكْتَتِبًا
رُوحِي فِدَى ذَلِكَ الظَّبْيِ الَّذِي غَضِبَا
أَصَابَتْ الْقَلْبَ عَنْ عَمْدٍ فَوَا حَرْبَا
إِذْ قَدْ أَرَى النَّاسَ فِيهِ الْمَاءَ وَاللَّبَبَا
دَقَّتْ مَعَاطِفُهُ مَالَتْ بِسُكْرِ صَبَا
نَشَرُ الْخَزَامِ إِلَى أُرُوجِهَا أَنْتَسِبَا
يَبْدُو كَسَطَرٍ بِنَثْرِ الْيَارِجِي كُتِبَا
وَالْعَالِمُ الْعَامِلُ الْمُحْيِي لَنَا الْأَدْبَا
وَفَضْلُهُ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ مَا اخْتَجَبَا
شَمْسُ الْعُلُومِ الَّتِي قَدْ أَخَفَتْ الشُّهْبَا
وَجِلْمِهِ وَذَكَاهُ قَدْ عَلَا رُتَبَا
يُعَصِّرُ الْكَوْنُ مِنْهُ طِيبَ نَشْرِ كِبَا
رَقِيقٌ شِعْرٍ بِالْبَابِ الْوَرَى لَعِبَا

حَلَّ الْمَصَاعِبَ لَا يَدْرِي بِهَا تَعَبًا
تَهْتَرُ يَا صَاحٍ فِي إِنْشَادِهَا طَرَبًا
أَنْوَارُهُ وَغَدَا بِالسَّعْدِ مُصْطَحَبًا
مَنْ عُدَّ فِي كُلِّ عَصْرِ زِينَةَ الْأَدْبَا
تَدْرِي بِهَا غَامِضُ الْأَسْرَارِ مَا كَذَبَا
فَلَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهَا الْعُشْرَ مَنْ كَتَبَا

جَمِيلُ خَلْقٍ لَهُ الْفِعْلُ الْجَمِيلُ وَقَدْ
لَهُ خَرَائِدُ أَفْكَارٍ لِبَهْجَتِهَا
يَا كَوَكِبًا فِي بِلَادِ الشَّرْقِ قَدْ لَمَعَتْ
بِفَضْلِكَ الْيَوْمَ قَدْ جَرَّ الْفَخَارُ عَلَى
مَنْ قَالَ إِنَّكَ يَا نَاصِيفُ ذُو فِطْنٍ
أَوْصَافُكَ الْغُرُّ أَعْيَتْ فِكْرَ مَا دِجَهَا

فأجابه بقوله:

فَسَقَتْنِي سَلْسَبِيلَا
قَدْ شَفَتْ مِنِّي غَلِيلَا
كَانَ بِالسَّلْوَى كَفِيلَا
وَضِ إِذْ هَبَّتْ أَصِيلَا
سَكَنْتُ دَهْرًا طَوِيلَا
أَرْبُعًا كَانَتْ طَلُولَا
وَالصَّبَا جَدَّ الرَّحِيلَا
شِمْتُ لِي مِنْهُ عَذُولَا
وَمَضَى إِلَّا قَلِيلَا
فَلَكُمْ أَلْقَى قَتِيلَا
يَنْقُضِي جِيلًا فَجِيلَا
أَطْلَعَ الرُّوضُ بَدِيلَا
فِي الدُّجَى وَجَهَا جَمِيلَا
كَامِلًا يُدْعَى خَلِيلَا

أَخَذْتُ نَحْوِي سَبِيلَا
بُنْتُ فِكْرٍ مِنْ خَلِيلٍ
نُقْتُ مِنْهَا مَنْ لَفِظُ
وَمَعَانٍ كَنَسِيمِ الرَّ
هَيَّجَتْ عِنْدِي شُجُونًا
وَبُنْتُ لِلشُّوقِ عِنْدِي
مَا أَنَا وَالشُّعْرُ أَضْبُو
كُلَّمَا أُنْشَدْتُ بَيْتًا
ضَاعَ هَذَا الْعُمْرُ وَيَحِي
إِنْ قَتَلْتُ الدَّهْرَ حَبْرًا
إِنَّمَا نَحْنُ نَبَاتُ
كُلَّمَا جَفَّ نَضِيرُ
يَا هِلَالًا قَدْ أَرَانَا
سَوْفَ نَلْقَى مِنْكَ بَدْرًا

وكتب إليه محمد عاقل أفندي من الإسكندرية:

وَكُلُّ حَسِيبٍ بِالْوَفَاءِ حَقِيقُ
وَفَيْتُ بِشَرْطِي أَمْ عَلَيَّ حُقُوقُ

وَحَقِّكَ إِنِّي لِلْوُدَادِ أَلِيقُ
شَرِطْتُ عَلَى نَفْسِي الْوَفَاءَ فَهَلْ تَرَى

جَوَادُ رَهَانٍ فِي الثَّبَاتِ طَلِيقُ
وَلَا جَدُّهُ بَيْنَ الْوَرَى الْفَارُوقُ
فَقَلْبِي لَهُ فَوْقَ الْبُحُورِ طَرِيقُ
فَيَسْبِقُ كَرَّ الدَّهْرِ حِينَ يَرُوقُ
تَلْغَرَفُ وَلِي أَمْرَهَا الْمَعْشُوقُ
يُتَرْجِمُ عَمَّا لِلضَّمِيرِ أُسُوقُ
يَحْنُ لَهُ عَانِي الْهَوَى وَيَشُوقُ
وَعِنْدِي كِتَابُكَ لِلْوَصَالِ شَقِيقُ
فُؤَادِي بِهِ نَارُ السُّهَادِ تَفُوقُ
لَهُ عِنْدَمَا هَبَّ النَّسِيمُ خُفُوقُ
وَحَقُّكَ إِنِّي لِلِوَدَادِ أَلِيقُ

أَلُّوِي عَنَانِي عَنِ هَوَاكَ وَإِنْ لِي
إِذَا لَمْ أَفِي بِالْوَعْدِ لَسْتُ ابْنَ كَاشِفِ
لَنْ كُنْتُ فِي بَيْرُوتَ وَالْبَحْرُ دُونَنَا
يَسِيرُ بِهِ رَكْبُ الضَّمَايِرِ رَاكِدًا
كَأَنَّ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ إِذَا رَنَتْ
وَسَلَّ مِنْ نَصِيفِ الْوَدِّ مِنْكَ فَإِنَّهُ
وَلَكِنْ لِتَحْرِيرِ الْمَرَاثِيلِ مَنْزِلُ
يَكَادُ بِهِ يُطْفِئُ لَهَيْبَ فِرَاقِهِ
بِوَدِّكَ لَا تَنْسَى وَفَائِي وَلَا تَدْعُ
وَطَائِرُ قَلْبِي فَوْقَ غُصْنِ غَرَامِهِ
فَعَاقِلُ لَا تَنْسَاهُ إِذْ قَالَ صَادِقًا

فكتب إليه بهذه الأبيات:

إِلَى حَبِيبِ جَمِيلِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ
فَاعْجَبْ لَهُ كَيْفَ يَهْدِي النَّارَ فِي الْوَرَقِ
صَحِيحَةُ الْعَزَمِ فِي الْأَسْفَارِ وَالطَّرِيقِ
مِنْ نَقْدِهِ إِذْ يَرَاهَا لَا مِنَ الْغَرَقِ
لِلدَّهْرِ خَالِصَةً مِنْ شُبْهَةِ الْمَلِكِ
إِلَّا كَمَا أَثَّرَ الصَّمْصَامُ فِي الدَّرَقِ
بِالْحَمْدِ وَالْعَقْلِ طَبَقَ الذَّاتِ فِي النَّسَقِ
وَوَجْهُهُ ظِلٌّ يَتَلَوُّ سُورَةَ الْفَلَقِ
فَقَدْ أَقَامَتْ عَلَيْنَا رَايَةَ الشَّفَقِ
وَذَلِكَ الْخَطُّ فِيهَا أَسْوَدُ الْحَدَقِ
مِمَّنْ أَرَى فَضْلَهُ كَالطُّوقِ فِي عُنْقِي
مِنَّا فَلَا زَالَ رَبِّ الْفَضْلِ وَالسَّبَقِ

هَذِهِ رِسَالَةٌ صَبَّ دَائِمُ الْقَلْقِ
تَضَمَّنَتْ نَارَ شَوْقِ بَيْنٍ أَضْلَعِهِ
عَلِيلَةُ اللَّفِظِ وَالْمَعْنَى مُجَرَّدَةٌ
رَاحَتْ تَخَوْضُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ خَائِفَةً
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا تُلْقِي بِهَا أَثَرًا
مُحَمَّدُ الْعَاقِلُ الْمَشْهُورُ تَسْمِيَّةً
يَتَلَوُّ لَنَا سُورَةَ الْإِخْلَاصِ مَنْطِقُهُ
لَنْ تَكُنْ عَيْنُ تِلْكَ الشَّمْسِ غَائِبَةً
رِسَالَةٌ كَبِيضِ الْعَيْنِ رُقِعَتْهَا
تِجَارَةٌ بَيْنَنَا وَاللَّهِ قَدْ رِبَحَتْ
يُهْدِي اللَّكَلِي وَيُهْدِي بَعْدَهَا خَرَزًا

وأرسل إليه الشيخ إبراهيم الأحذب من طرابلس هذه الأبيات:

خُذُوا بِثَارِي مِنْ قُدُودِ الْحِسَانِ
وَبِالْجَفَا أَفْقَرُنْ عَانِي الْهَوَى
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ إِذَا مَا بَدَتْ
شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِي خَدِّهَا
تَلُومُنِي إِنْ هُمْتُ فِي شَادِنِ
لَا حَ لِعَيْنِي الْبَدْرُ مِنْ وَجْهِهِ
رَأَى عَلَى الْأَحْشَاءِ جَفْنَ لَهُ
أَبْدَى يِمَانِيًّا عَلَى صَبِّهِ
جُنُونٌ قَيْسٍ فِيهِ أَبْدَى الشَّجِيِّ
فِيهِ أَمَانِيٌّ أَمَانُ الْجَفَا
أَبْدَى الْحَرِيرِيِّ عَلَى خَدِّهِ
وَعَلَّقَ الْحَسَنُ حُرُوفًا بِهِ
قَلْبِي فِي نَارٍ وَمِنْ خَدِّهِ
خَدُّ لَهُ مَعْنَى رَقِيقٌ حَلَا
يُحِبُّهُ الْقَلْبُ لِدِينَارِهِ
دَانَ لَهُ شَوْقًا شَقِيقُ الرَّبِّي
ذُو قَامَةٍ كَالرُّمَحِ قَدْ أَصْبَحَتْ
حَاوِلَ سَلَوَانِي لَاحَ بِهِ
هَلْ يَأْلَفُ السَّلْوَى مُجِبُّ لَهُ
وَبِي غَزَالَانِ لِسُكْنَاهُمَا
فَجَازِيَا نَحْوِي هَذَا الْوَرَى
كَمَا أَفَادَ الْحُكْمَ فِي ذَا لَنَا
شَاعِرُ قُطْرِ الشَّامِ مَنْ أَصْبَحَتْ
نَدْبٌ شَرَعَتْ الْمَدْحَ فَرَضًا لَهُ
صَرَفِي فُضِّلَ مَا نَحْيَ نَحْوَهُ
أَقْلَامُهُ فِي الطَّرْسِ تُبْدِي لَنَا

فَهْنٌ أَتَخَنَّ جِرَاحَ الْجَنَانِ
وَأَفْقَرِي الْبَادِي لَوَصْلِ الْغَوَانِ
أَرْتَنِي الْبَدْرَ عَلَى خَيْرَانِ
أَمْسَتْ حَمَى أَسْوَدَ طَرْفِ زِيَانِ
فِي حُبِّهِ دَمْعِي لَهُ أَيُّ شَانِ
لَمَّا انْتَنَى عَنِّي كَغُصْنٍ وَبَانِ
رَنَا فَمَنْ غَوَّيْتُ وَالْجَفْنَ رَانَ
نَاطِرُهُ الْفَتَّانُ لَمَّا غَزَانِ
فَمَنْ لِقَيْسِي الْهَوَى مِنْ يَمَانِ
وَيَا عَنَا مَنْ رَامَ مِنْهُ الْأَمَانِ
مَقَامَةً تُنْسِي بَدِيعَ الزَّمَانِ
حَقَّقَ رُقْيَى شَكْلَهَا بِالْبَيَانِ
بِرْتَعِ طَرْفِي فِي رِيَاضِ الْجِنَانِ
أَفْدِيهِ مِنْ خَدِّ رَقِيقِ الْمَعَانِ
قَدْ حَرَّرَ الْحُسْنُ حَلَاهُ وَزَانَ
كَمَا لَهُ الْوَرْدُ بِمَجْنَاهُ دَانَ
لِلْخَطِّ يُعْرِى حُسْنَهَا بِالسَّنَانِ
لَمْ يَدْرِ مَعْنَى الْعِشْقِ لَمَّا لَحَانَ
مِنْ تَغْرِهِ الْمَنْ بِغَيْرِ امْتِنَانِ
جَعَلْتُ وَقْفًا مُهْجَتِي وَالْجَنَانِ
لِذَاكَ أَنْ يَلْتَقِيَ السَّاكِنَانِ
نَحْوِي هَذَا الْعَصْرِ فَرْدُ الزَّمَانِ
لَهُ أَيَادٍ بِبَيَانِ الْمَعَانِ
حَيْثُ لَنَا قَدْ سَنَّ سِحْرَ الْبَيَانِ
لَهُ يَنْقِدُ الشُّعْرَ أَمْسَى يَدَانِ
أَغْصَانِ رَوْضٍ أَوْ فُرُوعِ الْقِيَانِ

أَشْكَلَ مَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ عَانٍ
وَرَقَاءُ قَدْ قَامَتْ عَلَى غُصْنِ بَانٍ
إِذَا جَرَتْ فِي كَفِّهِ وَالْبَنَانُ
جَوَاهِرًا أَزْرَتْ عَقُودَ الْجُمَانُ
تَرْفُ بِالشَّعْرِ جَمَالَ الْحَسَانُ
لِسَانُ مَعْنَاهَا عَدَا تُرْجَمَانُ
إِذَا جَرَى الْفَرْسَانُ يَوْمَ الرَّهَانُ
وَدَعُ أَحَادِيثَ فُلٍ أَوْ فُلَانُ
إِذْ كَانَ مُبْدِيهَا إِمَامُ اللِّسَانُ
إِذَا انْبَرَى فِي النَّثْرِ طَلَقَ الْعَنَانُ
مِنْ غَيْرِ أَخْبَارٍ وَدَعُ ذِكْرَ كَانَ
يَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْفَرْقَدَانُ
لِنَشْرِ فَضْلٍ مِنْكَ حُلُوِ الْمَجَانُ
عَذْرَاءُ قَدْ عَوَّدَتْهَا بِالْمَثَانُ
فَذَاكَ شَرَعُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانُ
لِنَفْسِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَانُ
فَإِنَّهُ جَلَّ عَلَيْهِ كَفَانُ

تَرْفَعُ بِالْإِبْهَامِ أَشْكَالَ مَا
كَمْ أَلِفٌ خَصَّتْ لَنَا هَمَزَهَا
أَيْنَ عُيُونُ الْبَيْضِ مِنْ سُودِهَا
أَخْرَجَ مِنْ كَنْزِ الْمَعَانِي لَنَا
أَبْكَارُ أَفْكَارٍ لَهُ أَصْبَحَتْ
مِنْ كُلِّ عَذْرَاءٍ بِأَفْضَالِهِ
وَرَا مَعَانِيهِ يُصَلِّي الْوَرَى
صَرَخَ بِأَنَّ الْفَضْلَ أَمْسَى لَهُ
كَمْ أَنْطَقَتْ أَلْفَاظُهُ أَلَكْنَا
يَسْحَبُ سَحْبَانٍ عَلَى وَجْهِهِ
فَقُلْ عَلَيْهِ مُبْتَدَأُ فِي الْوَرَى
وَالْفَرْقُ دَانُ إِنَّهُ فِي الْعُلَى
فِيَا فَتَى الْعَصْرِ دَعَانِي الْوَفَا
جَعَلْتُهُ حَلِيًّا عَلَى غَاةِ
فَلَا تَعْبُ مَدْحِي بَدِيعًا بِهَا
وَمَا نَرَى شَيْئًا بِمَدْحِ الْفَتَى
وَيَعُدْ ذَا حَسْبِي إِلَهِي عَلَا

فقال يجيبه:

قَالَتْ نَعَمْ لَكِنْ عَلَى غُصْنِ بَانٍ
صَارَتْ بِهَا السَّبْعُ الدَّرَارِي ثَمَانُ
يَا مَنْ رَأَى الْوَرْدَ عَلَى الْخَيْزِرَانُ
عَمْدًا وَلَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهَا الضَّمَانُ
دَاهِيَةً بِكُرٍّ وَحَرْبٍ عَوَانُ
تَقُولُ قَدْ قُدِّرَ هَذَا فَكَانُ
قَامَ لَدَيْهَا الْخَالُ كَالْمُؤْبَذَانُ
فِي مُهَجِ الْحُسَادِ ذَاتِ الدُّخَانُ

لَا حَتَّ فَقُلْنَا كَوَكَبُ الصُّبْحِ بَانُ
جَمِيلَةُ الطَّلَعَةِ وَضَاحَةُ
هَيْفَاءُ فِي وَجْنَتِهَا وَرْدَةٌ
قَدْ تَلَفَتْ فِي يَدِهَا مُهَجَّتِي
مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا وَأَكْبَادِنَا
إِذَا شَكُونَا مَا لَقِينَا بِهَا
فِي حَدِّهَا نَارُ الْمَجُوسِ الَّتِي
أَوْ نَارُ إِبْرَاهِيمَ مَشْبُوبَةٌ

يَنِ وَفِي الدُّنْيَا فَنِعَمَ الْقِرَانِ
بَيَّضَاءِ مَاضِي الرَّأْيِ مَاضِي اللِّسَانِ
تَحْكِي قَوَافِيهِ عَقُودَ الْجُمَانِ
لِلْحَقِّ فِيهِ وَالْهُدَى تُرْجَمَانِ
وَاللَّفْظُ كَالْفُرْسَانِ يَوْمَ الرَّهَانِ
يَجْلُو بَيَانُ السَّحْرِ سِحْرَ الْبَيَانِ
رَيَّانُ طَلْقِ الْوَجْهِ طَلْقُ الْبَنَانِ
وَذِكْرُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ
رَقَّتْ نُسَيْمَاتُ الصَّبَا فِي الْجَنَانِ
وَنَثْرُهُ يُنْسِي بَدِيعَ الزَّمَانِ
سُكْرِي بِهَا لَا بِسُلَافِ الدَّنَانِ
إِذَا التَّقَاهَا الطَّرْفُ طَلْقَ الْعَنَانِ
مِثْلَ اللَّكَلِي فِي نُحُورِ الْحَسَانِ
تَاهَتْ فَعَافَتْ حُلَّةَ الْأَرْجَوَانِ
أَشْهَى مِنَ النِّيَرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ
تَرْضَى لَهَا إِلَّا صَمِيمَ الْجَنَانِ
قَامَ خَطِيبًا وَارْتَدَى الطَّيْلَسَانِ
بِقَدَمِ الصَّبِّ وَقَلْبِ الْجَبَانِ
فَأَقْبَلَتْ تَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانِ

هَذَا خَلِيلُ اللَّهِ وَالنَّاسِ فِي الدُّ
أَشْمُ مَاضِي الْعَزْمِ مَاضِي الْيَدِ الـ
الشَّاعِرُ الْوَارِي الزَّنَادِ الَّذِي
يَصْدَعُ مِنْ أَقْلَامِهِ عَامِلٌ
يَسْتَبِقُ الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِهِ
فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ بَلَاغَاتِهِ
مُهَذَّبُ الْأَخْلَاقِ مَيِّمُونِهَا
ثَنَاؤُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ فَمٌ
رَقَّتْ مَعَانِيهِ وَدَقَّتْ كَمَا
يُنْسِي جَرِيرًا نَظْمَ أَبْيَاتِهِ
رَبُّ الْقَوَافِي الْمُطْرِبَاتِ الَّتِي
تُقَيِّدُ الْقَلْبَ بِأَسْبَابِهَا
وَرُبَّ حَسَنَاءِ الْمُحْيِي أَنْجَلَتْ
أَلْبِسُهَا ثَوْبَ ثَوْبٍ سَوَادٍ بِهِ
يَا أَنْسَ يَوْمٍ قَدْ أَتْتَنِي ضُحَى
وَهَبْتُنَا عَيْنِي وَأُذْنِي فَلَمْ
يَا خَيْرَ مَنْ صَامَ وَصَلَّى وَمَنْ
إِلَيْكَ عَذْرَاءُ سَعَتْ نَحْوَكُمْ
خَافَتْ مِنَ الذَّنْبِ بِتَقْصِيرِهَا

وقال في رسالةٍ إلى المعلم مارون النقاش وهو يومئذٍ في ترسيس:

هَيْهَاتَ لَا يُجْدِي وَقُوفُكَ فَارْحَلَ
أَظَنَنْتَ قَلْبَكَ بَيْنَهَا فَتَأَمَّلِ
فِيهَا خُطُوطًا مِثْلَ رَقَمِ الْجَمَلِ
صَدَرَ الْجَوَابِ عَنِ الصَّبَا وَالشَّمَالِ
يُرْجَى وَلَا مَاءَ الْحَيَاةِ بِمَنْهَلِ
فَكَأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ لَمْ يَحْصَلِ

مَاذَا الْوُقُوفُ عَلَى رُسُومِ الْمَنْزِلِ
تِلْكَ الْأَتَافِي فِي الْعِرَاصِ تَخَلَّفَتْ
دَارُ عَقْفَتِهَا الذَّارِيَاتُ فَأَبْرَزَتْ
وَمَتَى سَأَلْتَ رُبُوعَهَا عَنْ أَهْلِهَا
هَيْهَاتَ مَا دَارُ الْحَيَاةِ بِمَنْزِلِ
وَلَطَالَمَا سَرَّتْ فِسَاءَتْ فَانْقَضَتْ

ما لي أَبْتُكَ عِلْمَ ما لَمْ نَجْهَلِ
كَمَقَدِّمٍ لِلشَّمْسِ ضَوْءَ المِشْعَلِ
يُشْفَى على قَرَبِ المَزَارِ الأوَّلِ
حَتَّى يَكَادُ يَمَسُّهَا بِالْأُنْمَلِ
خَيْلُ البَرِيدِ مُغِيرَةً في الهَوَجِ
فَالخَوْفُ بَيْنَ الحَالِ والمُسْتَقْبَلِ
ذَكَرَى الحَبِيبِ وَيَوْمَ دَارَتْ جُلُجِلِ
كَالمِسْكِ يَصْدَعُ مَفْرَقَ المُسْتَعْمَلِ
وَقَفَ الرَّجَاءُ على الحَدِيثِ المُرْسَلِ
فَابْعَثْ إِلَيَّ بِلَهْفَةِ المُتَعَلِّلِ

يَا أَيُّهَا النُّخْرِيرُ جِهْبَذْ عَصْرِهِ
إِنَّ المُقَدِّمَ لِلْحَكِيمِ إِفَادَةٌ
بَعْدَ المَزَارِ على مَشْوِقٍ لَمْ يَكُنْ
يُذْنِي إِلَيْهِ الوَهْمُ دَارَ حَبِيبِهِ
لِلنَّاسِ أَيَّامُ تَمُرٍّ كَأَنَّهَا
إِنْ كُنْتُ تَأْمَنُ جَانِبَ المَاضِي بِهَا
ذَهَبَتْ بِمَا ذَهَبَتْ فَمَا تَرَكَتْ سَوَى
وَالذُّكْرُ قَدْ يُؤْذِي الفُؤَادَ وَإِنْ حَلَا
زَادَ المَوَدُّعُ نَظْرَةً فَإِذَا انْقَضَتْ
إِنْ كَانَ قَدْ بَعْدَ اللِّقَاءِ لِعِلَّةٍ

فأجابه بهذه الأبيات:

غَرَضِي الوِشَاحِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ
بَرَزْتُ بِجَلْبَابِ السَّوَادِ المُسَدَّلِ
إِذْ قَدْ أَتَتْ مِنْ جُودِ أَفْضَلِ مُرْسَلِ
أَحْيَتْ قَرِيضًا كَانَ عِنْدِي قَدْ بَلَى
فِي جَانِبِيهِ لِغَيْرِهَا مِنْ مَنَزَلِ
فَسَطَطْتُ عَلَيْهَا كَالرَّمَاكِ الذُّبُلِ
سَعَةً وَلَكِنْ طَعْمُهُ لَمْ يَعْدِلِ
يُنْجِي الغَرِيقَ وَتَوْبُهُ لَمْ يُبَلِّلِ
أَبْقَاكَ نُورًا فِي الظَّلَامِ لِيَنْجَلِي
بَدَلُ سِوَاكَ فَلَسْتُ بِالمُسْتَبَدَّلِ
حَتَّى عَجَزْتُ فَكَانَ حَقُّ العُدْرِ لِي
مِثْلُ الأَسِيرِ مُقَيَّدًا بِالأَرْجُلِ

وَرَدْتُ إِلَيَّ مِنَ المَقَامِ الأَفْضَلِ
عَجَبًا لَهَا وَهِيَ العَرُوسُ رَأَيْتُهَا
تِلْكَ الرِّسُولُ تُعَدُّ أَفْضَلَ مُرْسَلِ
شَاهَدْتُ مِنْهَا المُعْجَزَاتِ فَإِنَّهَا
طَفَحَتْ على قَلْبِي الهُمُومَ فَلَمْ يَعْذُ
حَتَّى غَزَتْ تِلْكَ السُّطُورَ جِيُوشُهَا
بَيْنِي وَبَيْنَ البَحْرِ بَحْرٌ مِثْلُهُ
وَالْبَحْرُ يُغْرِقُ خَائِضِيهِ وَبَحَرْنَا
يَا مَنْ إِذَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِنِعْمَةٍ
كُلُّ الرِّجَالِ إِذَا مَضَوْا يَرْجَى لَهُمْ
جَارِيَتْنِي فَقَصُرْتُ دُونَكَ هِمَّةً
إِنَّ الضَّعِيفَ مُقَيَّدًا بِلسَانِهِ

وورد إليه رسالة من الشيخ حسن ابن الشيخ علي اللقاني مفتي السادة الحنفية بالإسكندرية يقول فيها:

أَيُّهَا الطَّالِعُ الْأَسْعَدُ، الرَّاقِي بِسَلَمِ الْمَجْدِ إِلَى ذِرْوَةِ كُلِّ سَوْدَدٍ، الْعَارِجُ بِحُسْنِ
آدَابِهِ إِلَى كُلِّ ذِرْوَةِ شَمْسِيَّةٍ، السَّارِي ذِكْرُهُ فِي الْمَنَازِلِ سَيْرِ الْمَطَالِعِ الْفَلَكَيَّةِ.
مَا مِنْ فَضِيلَةٍ آدَابٍ إِلَّا وَلَكَ فِيهَا أَطْوَلُ بَاعٍ، وَإِنْ كَانَتْ مَقَاصِيرُ مَعَانِيهَا
ذَاتَ حُسْنٍ وَإِبْدَاعٍ، فَالْأَدَبُ مِنْ فِكْرِكَ تُسْتَخْرِجُ عَرَائِيسُهُ، بَعْدَمَا تَزْهَوِ فِي بُرُودِ
السَّحْرِ مَلَابِيسُهُ. يَا مَنْ أَخَذْتَ مِنْهُ الْبَلَاغَةَ زُخْرُفَهَا وَتَرَيَّنْتَ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ
قَادِرُونَ عَلَيْهَا فَتَنَكَّصَتْ بِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ وَأَحْجَمَتْ. وَيَا مَنْ قَيَّدَ أَوَابِدَ عَرُوضِهِ
بِمُبْتَكِرَاتِ ابْنِ أَحْمَدَ، وَضَرَبَ أَوْتَادَ بِلَاغَتِهِ فِي الْأَنَامِ وَقَوَّاهَا بِأَسْبَابٍ مِنْهُ تُحْمَدُ؛
مَاذَا عَسَى يَقُولُ الْوَاصِفُ فِي نَصِيفِ فَضْلِهِ، أَوْ النَّاطِمُ وَالنَّائِثُ فِي عَقْدِهِ وَحَلِّهِ،
بَعْدَمَا مَلَكَ بِمَطْبُوعِهِ رِقَابَ الْآدَابِ، وَحَرَّرَ رِقَّ مَعَانِيهِ وَهِيَ ذَاتُ دَلٍّ وَإِعْجَابٍ؟!
وَقَدْ حَرَكْتَ أَلْبَابَ الْوَرَى لَوُدِّهِ بَعْدَ السُّكُونِ؛ فَقَامَتْ تَلْتَمِسُ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ
أَنْوَاعَ الْفُنُونِ، كَيْفَ لَا وَهِيَ نَسِيمُ الصَّبَا الَّتِي تَهْتَرُّ لَهَا أَغْصَانُ الْعُقُولِ، وَنَفْحَةُ
الطَّيِّبِ الَّتِي تَرْتَاخُ لَهَا أَنْفُسُ أَرْبَابِ الْعُقُولِ! وَكُنَّا مِمَّنْ أَتْنَى الْوُدَّ لَهُ عَنَانُهُ،
فَجَاءَ مَعَ عَدَمِ الْمُكَافَأَةِ خَاطِبًا بِإِذْلٍ أَوْزَانُهُ. وَهَذِهِ ثَلَاثُ رَقِيمَاتٍ تَنْطِقُ بِالْحَقِّ،
تَتَهَادَى فِي وَشْيِ الْعَجَمِ إِلَّا أَنَّهَا عَرَبِيَّةُ النُّطْقِ، فَإِنْ فَازَتْ بِالْقَبُولِ فَأَهْلًا أَتَتْ
وَسَهْلًا، وَإِلَّا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى مَا بَنَتْ مِنَ الْأَشْوَاقِ فَضْلًا.

القيمة الأولى لحضرة العلامة الأستاذ الفهامة الشيخ إبراهيم سراج الدين الشافعي،

وهي:

بَيْنَ السُّهَادِ وَجَفَنِي صَلْحُ مَغْلُوبٍ	وَ حَايَرْتِي بَيْنَ مَكْرُوهٍ وَمَحْبُوبٍ
وَ رَحْمَتَاهُ لِشَاكِ جَوْرٍ عَادِلَةٍ	تَيْهًا وَذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
لَهَا حَوَارِيٌّ لَحِظَ عَارِفٍ فَطِنٍ	بِالسَّحْرِ يَقْلُبُ مُرْدًا أَنْفُسَ الشَّيْبِ
وَصَارِمٌ مَا تَصَدَّى لِلْغَبِيِّ بِهَا	إِلَّا تَعَلَّمَ مَشْهُورَ التَّجَارِيِبِ
وَمَا نَسَّ مِنْ غُصُونِ الْبَانِ نَحْسَبُهُ	لَوْ لَمْ يَفِدْ نَصَبَ حَالٍ غَيْرِ مَنْصُوبٍ

وَأَسْهَمُ فِي قَسِيٍّ مَا لَهَا عَرَضُ
يَا رَوْضَةً أَنْسَتْ كُلَّ الْمِلَاحِ بِهَا
يَا لِلْهَوَى مَنْ رَأَى فِي الْغَيْدِ أَنْسَةً
لِلَّهِ دُمِيَّةٌ حُسْنِ دُرٍّ مَنْطِقِهَا
وَدُرَّةٌ إِنْ يُسَمَّ بِاسْمِ الْيَتِيمِ سَمَا
وَلَمْ أَشْمُ قَبْلَهُ كَاسًا تَهِيجُ ظَمًا
حَتَّى رَأَيْتُ نَصِيفًا صَاغَهَا كَلِمًا
مِنْ مَنْطِقِ نَحْوِهِ لَوْلَا تَمَكُّنُهُ
أَدَّلَهَا بِالْمَعَانِي ذُلَّ شَامِسِهَا
سَلَّ رَبَّةَ الْخَالِ عَنْ طَرَسٍ يَشِيهِ ثَقُلَ
دَعِ الْيَرَاعَةَ تَحْبُو فَضْلَ رَبَّقَتِهَا
يَا أَهْلَ بَيْرُوتَ مَا أَغْنَى نَصِيفُكُمْ
وَمَا عَجَبْتُ لِتَذْلِيلِ الصَّعَابِ لَهُ
مَاضٍ عَلَى رَأْسِهِ الْمَشْدُوحِ مُبْتَدِرًا
مَا لِلنَّصَارَى تَخَطُّوا ذَا الْخِصَمِ وَمَا
أَمَّا لَهُمْ بِنَقُودِ الْفَضْلِ مَعْرِفَةٌ
فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مِنْ وَجْهِهِ نَظَرٌ
وَأِنْ تَنَاءَى فَفِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مِنْ
وَالْمَرْءُ يُعَشِّقُ لِلْأَشْيَاءِ يُحْسِنُهَا
وَحَيْرُ شَيْءٍ أَفَادَ الْوَدَّ ذَا أَدَبٍ
تُثْنِي عَلَيْهِ الْقَوَافِي وَهِيَ صَامِتَةٌ
كَانَتْ تُبَاعُ بِلَا وَزَنْ فَسَعَّرَهَا
لَيْسَ الشَّامُ بِأَدْرَى حِينَ يُنْشِدُهَا
كَالشَّمْسِ نَمَّ عَلَيْهَا ضَوْوُهَا فَبَدَتْ
نِبَاهَةٌ قَذَفَ الْفَضْلُ الْمَكِينُ بِهَا
كَأَنَّمَا كَانَ مَخْبُوءًا لِيُشْهَدَنَا
جَاءَتْكَ نَفْتَةٌ مَصْدُورٌ بِهَا حَجَلٌ
تُبْدِي إِلَيْكَ وَجُوهًا فِي الْقُصُورِ فَإِنْ

إِلَّا النُّهَى حَبَذًا مَطْلُوبٌ مَطْلُوبٌ
هَذَا الْبَلَاءُ وَمَا لِي صَبْرُ أَيُّوبَ
هِيَ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيِبِ
مَا لَا بَيْنَ بَسَامِهَا عَنْ مُسْنَدِ الطَّيِّبِ
بَابِنِ الْفُرَاتِ نَظِيمًا غَيْرَ مَنُقُوبِ
وَكُلَّمَا كُرِّرْتُ جَاءَتْ بِمَرْغُوبِ
هِيَ الْقَتَانِي فَمَا عَاوَدْتُ تَعْجِيبِي
فِي زَيْدِهِ لَمْ يَكُنْ عَمَرُو بِمَضْرُوبِ
وَاسْتَأَسَرْتُ فَهُوَ صَيْدٌ غَيْرُ مَنُعُوبِ
سِينِي وَوَاوِي وَنُونِي ذَا وَمَحْجُوبِي
فَإِنِّي أَشْتَهِي عَصْرَ الْأَنَابِيْبِ
بِسُخْرِهِ كَيْفَ مِلْتُمْ لِلرَّعَائِبِ
وَإِنَّمَا عَجَبِي مِنْ عَدُوِّ مَغْضُوبِ
أَغْرَاضُهُ عَارِيًا مَعَ أَنَّهُ نُوبِي
كَالْوَهِّ حَقًّا بِمَكْحُولِ وَمَخْضُوبِ
وَلَوْ دَرَاوُ اسْتَغْفَرُوهُ زَلَّةَ الْحُوبِ
فَتِلْكَ آدَابُهُ مَجْلُوءَةُ الْكُوبِ
مَطْبُوعِهِ مَا يُرِينَا حَيْرَ مَصْحُوبِ
عَلَى السَّمَاعِ فَذُو فَرَضٍ وَتَعْصِيبِ
أَخْلَاقُ انْسَجَمَتْ مِنْ أَفَقِ تَأْدِيبِ
كَالرَّوْضِ أَثْنَى عَلَى غُرِّ الْأَسَاكِبِ
حَتَّى عَدَتْ فِي النُّوَاصِي وَالتَّلَايِبِ
مِنْ الْعِرَاقِ بِتَرْقِيقِصٍ وَتَشْبِيبِ
فِي بُرْقَعِ الْعَيْمِ بَيْضَاءَ الْجَلَابِيبِ
إِلَى الْعُلَى فَأَنَارَتْ عَقْلَ مَسْلُوبِ
شَخْصَ الْفَضَائِلِ رَدًّا لِلْكَاذِبِ
مَا حُلِّيتَ بِمُعَارٍ لَا وَمَغْضُوبِ
لَمْ تُحْسِنِ الْمَدْحَ وَقَتٌ عَذَرٌ مَحْبُوبِ

الرقيمة الثانية لحضرة أستاذ الأدب ومعدن الفضل والحسب مولانا الشيخ محمود نوار أحد، الطلبة بمدرسة الإسكندرية. وهي:

وَلَذُ بِالْحِمَى بَيْنَ الْبُذُورِ الطَّوَالِغِ
عَلَيْنَا حُرُوبًا فِي خِلَالِ الْأَصَالِغِ
بِكُلِّ قَوَامٍ سَمْهَرِيٍّ الشَّوَارِغِ
وَبَرَقَ ابْتِسَامٌ فِي سَحَابِ الْبَرَاغِ
عَوَانِسُ لَمْ تُطْمِثْ بِوَرِيِّ الْمَطَامِغِ
وَيُذَكِّرُنِي عِنْدَ الْعُذَيْبِ وَدَائِعِي
وَيَهْزَأْنَ عُجْبًا بِالْغُصُونِ الْإِيَانِغِ
حَوَاجِبُهَا فَوْقَ السُّيُوفِ اللَّوَامِغِ
نَوَاعِيسُ تَرْمِي مِنْ جَعَابِ هَوَاجِغِ
صَرِيحُ غَوَانٍ فِي الدِّيَارِ الْبَلَاغِغِ
بِشْعَرٍ نَصِيفٍ فِي ثَنَائَا سَوَاطِغِ
إِلَى الْآنَ حَتَّى فِي زَمَانِ الْمَرَاغِغِ
عَلَى بُعْدِهِ مِنَّا وَنَزَحِ الْمَوَاضِغِ
عَشِيَّةً نَغْشَاهُ بِبَعْضِ الْمَجَامِغِ
بِأَشْعَارِهِ فِي كُلِّ كَبِشٍ مُمَانِغِ
تَفَاعِيلُ يُجْلِيهَا بِذُوبِ الْبَدَائِغِ
عَرَائِضُ يَجْلُوهَا لِكُفَى الْمَسَامِغِ
وَلَكِنَّ حُسَادَ الْفَتَى لَمْ تُصَانِغِ
بَيَانَ مَعَانَ كَالْغَوَادِي اللَّوَامِغِ
يَجُودُ بِعَقْدٍ أَوْ فَرَائِدٍ سَاجِغِ
أَدِيبٌ وَفِي أَشْبَالِهِ لَمْ نُمَانِغِ
فَتَبِيقُ بِمَضَرٍ بَيْنَ شَارٍ وَبَائِغِ
حَمِيَاكُ شَعْرًا مِنْ بَطُونِ الْمَنَاصِغِ
أَمْ التَّبَرُّ مَسْبُوكًا عَلَى غَيْرِ صَانِغِ
فَيَأْخُذُنَا فِيكَ الْهَوَى بِالتَّتَابِغِ

حَذِ الْحَذَرَ مِنْ فَتْكِ الْعُيُونِ الطَّلَائِغِ
فَوْقَعَهُ بِذَرٍ بِالْقُلُوبِ أَدْلَنَهَا
كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ تَهَادَى مَعَ الْهَوَى
بُدُورُ أَرْتَنَا فِي الْغُصُونِ مَطَالِغَا
كَوَانِسُ خَذَرٍ فِي خِبَاءِ بَزِينِهَا
يُقَرَّبُنْ لِي عَهْدَ الْعَقِيقِ وَبَارِقِ
يَمِسنَ دَلَالًا فِي مُرُوطِ تَبَخُّتُرِ
يَصْلُنَ بِالْحَاطِظِ سَهَامٍ قَسِيَّهَا
تُصِيبُ وَلَا تُخْطِي الْحَشَى بَيْدَ أَنَّهَا
فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْخَيَالِ وَجِسْمِنَا
وَعَيْرُ عَجِيبٍ أَنْ تَرِينَا لَالِنَا
سِرَاجُ نِكَاءٍ مَا خَبَا مُنْذُ جِينِهِ
فَمِنْ بَيْتٍ شَعْرٍ قَدْ شَعَرْنَا بِفَضْلِهِ
فَكَيْفَ بِهِ فِي قُرْبِهِ مِنْ دِيَارِنَا
فَشَعْرُ جَرِيرٍ فِي كُلِّبٍ نَطْحَنَهُ
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ
قَلَائِدُ عَقِيَانِ عَوَابِثُ بِالْنُهَى
هِيَ السَّحَرُ لَكِنْ لَمْ تَحَرِّمْ عَلَى امْرِئِ
سَمَاءَ عُلُومٍ قَدْ مُطَرْنَا بِنَوَيْهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ فِكْرٍ رَوَاؤُهُ
هُمَامٌ أَرِيبٌ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ
شَمَائِلُهُ بِالشَّامِ لَكِنْ نَسِيمُهَا
أَدِيبَوَانَهُ عَذْ لِي حَدِيثُكَ وَاسْقِنِي
وَقُلْ لِي نُضَارُ أَنْتَ أَمْ سَمَطُ جَوْهَرِ
نُجَادِبُ أَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنِنَا

ضُرُوبٌ قَوَافٍ فِي نُقُوشِ الْأَصَابِعِ
سِوَاكَ فَلَمْ أَظْفُرْ بِغَيْرِ الْمَوَانِعِ
بِرُوحِ ابْنِ مَعْنَى مِنْ كَبِيرٍ وَيَافِعِ
كَقَيْسٍ لَهَا فِي عُزْضِ دَرْبٍ وَشَارِعِ
بِمَشْرِقِهِ وَالْغَرْبِ مِنْ كُلِّ بَارِعِ
وَأَرْسَلْتَهَا فِي كُلِّ دَانٍ وَشَاسِعِ
تُعْرِفُهَا بِالْبَيِّنَاتِ الْقَوَاطِعِ
وَتَمَّتْ سُرُورًا لَا تُرَاعُ بَرَائِعِ

فَمَا فِي الْأَغَانِي مِنْ بَقَايَا جَمَعْتَهَا
صَرَفْتُ رَشَادِي كَيْ أَرَى لِي صَاحِبًا
لَكَ اللَّهُ يَا مُنْشِيهِ أَنْتَ قَرْنَتْهُ
كَأَنَّ بِهِ لَيْلَى فَعَاقِلُ حَيِّنَا
وَحَرَرْتَهُ لَكِنْ مَلَكْتُ ثَنَاءَهُ
مَسَكْتُ زَمَانًا لِلْفَصَاحَةِ قَائِدًا
مَتَى تُثْنِيهَا تُثْنِي وَإِنْ هِيَ تُكْثَرُ
فَرَاخَتْ بِكَ الْإِيَّامُ تُعْرِفُ قَدْرَهَا

الرقيمة الثالثة للفقير خاطب ودكم، وهي هذه:

غَزَالٌ وَبَرَقَ الْأَفَقُ كَالثَّغْرِ لَامِعُ
ضِيَاءٌ فَمَا هَذِي الْبُدُورُ السَّوَاطِعُ
إِذَا مَا جَلَاهُ الْهُدُبُ فَالْحَدُّ قَاطِعُ
وَتِلْكَ لَهُ فِي مُقْلَتَيْهِ صَنَائِعُ
فَيَدْنُو وَلَوْ أَنَّ الْمَدَى فِيهِ شَاسِعُ
عَلَيْنَا وَسُنُّ الْهُدُبِ بِالْفَتْكِ قَارِعُ
هُوَ السَّحَرُ لَا مَا فِيهِ هَارُوتُ شَارِعُ
وَمَا جَرَدْتُهُ مِنْ جُفُونِ أَصَابِعُ
وَأَخْلَفَ وَعَدًا حِينَ تَدْنُو الْمَوَاضِعُ
حَلَاهُ وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ
غَرَامًا وَفِي عَشْقِي عَلَيْهِ أَنْارُعُ
عَلَيَّ وَمَا صَمَّتْ وَحَاشَا الْمَسَامِعُ
يَنَالُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي هُوَ طَالِعُ
فَتَنْسِجُ صَبْرِي فِي هَوَاهُ الْمَدَامِعُ
كَمَا حَرَسَ الثَّغَرَ الشَّهِي وَهُوَ هَاجِعُ
مُكَحَّلَةٌ بِالطَّبْعِ فَهِيَ وَشَائِعُ
يَقُومُ عَلَى خَدَّيْهِ خَالٌ يُمَانِعُ

سَرَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَالْبَدْرُ طَالِعُ
وَأَسْفَرَ عَنْ وَجْهِ أَرَى الشَّمْسُ دُونَهُ
وَجَرَّدُ مِنْ غَمْدِ اللَّوَاظِ مُرْهَفًا
يُسَاحِرُ بِالْأَلْفَافِ مَنْ كَانَ سَاحِرًا
إِذَا زَامَ أَمْرًا قَدَّمَ الْجَفْنَ قَاضِيًا
يَرَى التَّيَّةَ فَرَضًا أَنْ يَصِلَ نَصْلُ جَفْنِهِ
يَجُورُ وَلَكِنْ جُورُهُ عَيْنُ عَدْلِهِ
وَيَجْرَحُ أَحْشَاءَ الْوَرَى سَيْفٌ لَحْظُهُ
لَهُ اللَّهُ مَا أَوْفَاهُ بِالْفَتْكِ ذِمَّةُ
يَلُومُونَ عَذَابِي عَلَيَّ وَمَا دَرَوْا
وَمَا عَلِمُوا أَنِّي أَمُوتُ بِحُبِّهِ
تَلَا اللَّوْمُ تَالِيَهُ فَلَمْ أَدْرِ مَا تَلَا
يُسَاحِرُنِي بِاللَّحْظِ طَوْرًا وَتَارَةً
وَتَغْزِلُ لِي ثَوْبَ السَّقَامِ جُفُونُهُ
لَقَدْ حَرَسَ الْحَدِيثَ عَقْرَبُ صَدْغِهِ
يَصُونُ عَنِ الْكُحْلِ الْجُفُونُ لِأَنَّهَا
إِذَا عَلَنِي مِنْ بَارِدِ الرِّيقِ ثَغْرُهُ

صَرَفْتُ رَشَادِي رَغْبَةً فِي وَصَالِهِ
وَمَلَّكْتُهُ رِقِّي فَحَرَّرَ قَتَلَتِي
يَرِقُ وَيَقْسُو كَالزَّمَانِ وَإِنَّهُ
يُزَيِّنُهُ إِنْ حَلَّ جِلِّي دَلَالِهِ
بِدَائِعِ مَا فِيهَا سَوَى السُّحْرِ مَنْطِقُ
إِذَا جَرَّ فَوْقَ الطَّرْسِ سُمُرَ يِرَاعَةٍ
وَإِنْ رَاحَ يُنْشِي أَوْ يَكَاتِبُ صَحْبَهُ
كَأَنَّ صَرِيرَ السُّمْرِ فِي رَوْضِ طَرْسِهِ
تَأْلِيفُهُ قَدْ نَصَحَتْ كُلَّ أَعْجَمٍ
لَالِيٍّ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ تَنَانَتْ
كَأَنَّ مَعَانِيَهَا بَدِيوَانِ شَعْرِهِ
تَوَلَّدَ مِنْهَا كُلُّ لَفِظٍ تَخَالَهُ
لَيْتَنَ فَاحَ فِي أَرْضِ الشَّامِ ثَنَاؤُهُ
إِذَا مَا كَبَّتْ فِي حَلْبَةِ الشَّعْرِ فِكْرُهُ
لَهُ اللَّهُ مَا أَوْرى لَدَى الْحَزْمِ زَنْدُهُ
خَطَبْتُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَدَادَهُ
فَهَلْ دِيْمَةٌ يَسْخُو بِهَا أَفَقُ فِكْرِهِ
فَإِنَّ شَهْوَةَ الْفِكْرِ أَجَرَتْ قَضَاتِهَا
فَحُذِّهَا كُنُوسًا ذَاتِ حُسْنٍ فَإِنَّهَا
طَفِيلِيَّةٌ رَاقَتْ وَفِي طَيِّ حُبِّهَا
لَهَا فِي ذُرَى عَلِيَّكَ مَأْوَى وَمَسْرَحُ
إِذَا كُنْتُ بِالْآدَابِ فِي الشَّامِ مُفْرَدًا

فَمَا تَمَّ إِلَّا مَنَعُهُ وَالتَّقَاطُعُ
وَمَا لِي عَلَى تَدْبِيرِهِ الْقَتْلَ شَافِعُ
إِذَا مَرَّ بِخَلْوٍ وَهُوَ كَالْغُصْنِ يَافِعُ
كَمَا زَيَّنْتُ نَاصِيفَ فِينَا الْبِدَائِعُ
حَلَالٌ وَفِي أَجْنَاسِهَا لَا أُدَافِعُ
تُصَافِحُهُ الْآدَابُ وَهِيَ رَوَافِعُ
فَعُزُّ مَعَانِيهِ الْحِسَانُ تُسَارِعُ
غِنَاءُ حَمَامٍ وَهُوَ بِالشَّعْرِ سَاجِعُ
بَلِيدٍ وَكَمْ وَلَّى بَلِيغٌ وَبَارِعُ
عَلَيْنَا وَفِي مَنْظُومِهَا السَّرُّ ذَائِعُ
نُجُومٌ لَهَا فِي أَفَقٍ مِصْرُ مَطَالِعُ
مِنَ اللَّطْفِ شَخْصًا وَهُوَ لِلْحُسْنِ جَامِعُ
فَفِي مِصْرِنَا مِنْهُ شَذَا الذِّكْرِ ضَائِعُ
فَفَكَّرْتُهُ تَصَفُّو لَدَيْهَا الْمَشَارِعُ
وَأَزْكَاهُ فَهَمًّا وَهُوَ لِلخَطْبِ قَامِعُ
كَمَا خَطَبَ الْمَرْءُ الْعُلَى وَهُوَ يَافِعُ
لِتَخْصَبَ مِنْ رَوْضِ الْوِدَادِ الْمَزَارِعُ
تَسْلُسَلُ دُرُّ الشَّعْرِ وَهِيَ رَوَاتِعُ
عَلَيْهَا حَبَابُ الْوَدِّ أَبْيَضُ نَاصِعُ
نَتَائِجُ فِكْرِ قَدَمَتِهَا الْمَطَامِعُ
وَفَضْلُ بِمَبْنَاهُ تُشَادُّ الْبَلَاغِعُ
فَمَا تَمَّ إِلَّا فَضْلُ عَلِيَّكَ شَائِعُ

وإلى هنا انكسرت رءوس الأقلام، وفاح مسك الختام، من عند خاطبٍ ودُّكم حسن
اللقاني ابن حضرة مفتي السادة الحنفية الشيخ علي اللقاني بثمر الإسكندرية — عَفِي
عنه.

فقال في جواب الأول:

مَنْ حُسْنِ يُوسُفَ يُرْجَى صَبْرُ أَيُّوبَ
فَقَلْبُ كُلِّ مُحِبٍّ عِنْدَ مُحَبُّوبٍ
فَلَمْ يَكْفُفُوا وَلَا فَازُوا بِمَطْلُوبٍ
وَعِدَ الْخِيَالِ وَتَنَسَّى وَعَدَ عُرْقُوبٍ
تَخْلُو عُذُوبَتُهَا مِنْ كُلِّ تَغْذِيبٍ
تَحْتَ الْحُلِيِّ وَطِرَازٍ فِي الْجَلَابِيبِ
وَنُورُهَا كَالدَّرَارِيِّ غَيْرُ مَحْجُوبٍ
لَمَّا تَنَسَّمَتْ مِنْهُ نَفْحَةَ الطَّيِّبِ
تُهْدِي عِطَاشَ الرَّبِيِّ قَطْرَ الشَّابِيبِ
وَأَعَذَبَ الْوَفْدَ وَفَدَّ غَيْرُ مُحْسُوبٍ
يَا حَبْذَا كَاتِبٍ مِنْهُ كَمَكْتُوبٍ
شُكْرًا فَأَبْسَطَ عَنْهُ عُذْرَ مَغْلُوبٍ
وَجَادَهَا الْغَيْثُ أَسْكُوبًا بِأَسْكُوبٍ
لِغَيْرِهَا بِالشَّظَايَا وَالْأَنْابِيبِ
مَلَائِكُ الْعَرْشِ مِنْ أَعْلَى الْمَحَارِيبِ
وَبَرْدَ شَوْقِ كَيْتِكَ النَّارِ مَشْبُوبِ
وَصَانَهُ اللَّهُ مِنْ لَوْمٍ وَتَثْرِيبِ
فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ مَقْبُولُ الْأَسَالِيبِ
مُسْتَوْفِيًا حَقَّ تَهْذِيبٍ وَتَأْدِيبِ
مِثْلَ الشَّكَايِمِ لِلْجَرْدِ السَّرَاحِيبِ
أَغْنَتْهُ عَنْ شَقِّ نَفْسٍ فِي التَّجَارِيبِ
تَبْغِي الضِّيَاءَ فَتَاةً لِلْأَعَارِيبِ
مَدَّتْ إِلَيْكَ بَنَانًا غَيْرَ مَخْضُوبِ
رَأْسِي فَنَاظَرُهُ سَمْعِي بِمَنْصُوبِ
يَا مَنْ عَلَيْهِ مَدِيحِي غَيْرُ مَنْدُوبِ

هَلْ لِلَّذِي فِي حَشَاهُ حُزْنٌ يَعْقُوبُ
وَكَيْفَ صَبْرٌ بِلا قَلْبٍ يَقُومُ بِهِ
مَضَى الزَّمَانُ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى عَيْثًا
تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ عَلَى
كُلِّ الْمِلَاحِ فَدَى خُودَ ظَفِرَتْ بِهَا
يَزِينُهَا الْحَبْرُ فَوْقَ الطَّرْسِ لَا حَبْرُ
مَحْجُوبَةٌ تَحْتَ أَسْتَارِ تَغِيبُ بِهَا
عَلِمْتُ أَنَّ عَرُوسًا ضَمَنْ هُودَجَهَا
هَدِيَّةً جَادَ مُهْدِيهَا عَلَيَّ كَمَا
جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ لِرُزُورَتِهَا
كَرِيمَةً مِنْ كَرِيمِ عَزَّ جَانِبُهُ
أَثْنَى عَلَيَّ بِمَا لَا أَسْتَطِيعُ لَهُ
حَيَى الصَّبَا أَرْضَ مِصْرَ وَالَّذِينَ بِهَا
فِي أَرْضِهَا غَابَةُ الْعِلْمِ الَّتِي سَمَحَتْ
عَلَى الْخَلِيلِ سَلَامُ اللَّهِ تَقَرُّوهُ
وَمَنْ لَنَا بِسَلَامٍ نَلْتَقِيهِ بِهِ
هُوَ الْأَدِيبُ الَّذِي رَقَّتْ شَمَائِلُهُ
مُنَزَّهُ عَنْ فُضُولِ الْقَوْلِ مَنَاطِقُهُ
وَأَحْسَنُ الشَّعْرِ مَا رَاقَتْ مَوَارِدُهُ
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى الْفَاطِظِ حَرَسًا
وَمَنْ إِذَا عَرَضَتْ فِي النَّاسِ تَجَرِبَةٌ
إِلَيْكَ يَا ابْنَ سِرَاجِ الدِّينِ قَدْ وَفَدَتْ
خَطَارَةٌ فِي سَخِيفِ الْبَرْدِ عَاطِلَةٌ
رَفَعْتُ قَدْرِي بِمَدْحٍ قَدْ خَفَضْتُ لَهُ
عَلَيَّ شُكْرَكَ مَفْرُوضُ أَقَوْمٍ بِهِ

وقال في جواب الثاني:

بَقَايَا سَلَامٍ مِنْ بَقَايَا الْأَصَالِعِ
رَهِينُ الْبَلَى حَتَّى شَتُونِ الْمَدَامِعِ
وَأَجْفَانُنَا مِنْ دَمْعِهَا فِي بَرَاقِعِ
وَتَبْكِي عَلَى نَوْحِ الْحَمَامِ السَّوَاجِعِ
لَنَا زَفَرَاتُ بِالْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ
شِهَابٍ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ طَالِعِ
تَجَلَّى بِنُورٍ لِابْنِ نَوَّارٍ سَاطِعِ
إِلَيَّ وَكَانَ الشُّوقُ إِحْدَى الْوَدَائِعِ
مُجِبٌّ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ الشَّوَاسِعِ
وَأَكْرَمُ مِنْهُ مَنْ بَدَا بِالصَّنَائِعِ
عَجَزْتُ بِهَا عَنْ حَمْدِهِ الْمُتَتَابِعِ
جَمِيلًا فَأَنْشَأَ صَبُوءَةً لِلْمَطَابِعِ
تَنَاوَلْتُهَا بِالْقَلْبِ لَا بِالْأَصَابِعِ
كَمَا حَالَ دُونَ الصَّرْفِ بَعْضُ الْمَوَانِعِ
سِوَى مَهْدِ قَلْبٍ مِنْ صِغَارِ الْمَضَاجِعِ
فَوَهْنٌ عَلَى وَهْنٍ إِلَى الْوَهْنِ رَاجِعِ
جَمِيلُ ثَنَاءٍ لِلْمَدَائِحِ جَامِعِ
وَفَضْلٌ عَلَى خُلُقِ الرِّضَى الْمُتَوَاضِعِ
إِلَيْنَا بِمِلءِ الْعَيْنِ مِلءُ الْمَسَامِعِ
فَإِنَّ اقْتِرَابَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ

عَلَى رَسْمِ هَاتِيكَ الدِّيَارِ الْبَلَاقِعِ
بَلِيْنٌ وَأَبْلَانَا الزَّمَانُ فَكُلُّنَا
نَزَلْنَا لِرَبَّاتِ الْبَرَاقِعِ مَعَهْدًا
تَنُوحُ حَمَامُ الْأَيْكِ عِنْدَ بُكَائِنَا
نَهَارٌ تَغَشَّاهُ ظِلَامٌ تَشْقُهُ
وَلَمْ يَكْشِفِ الظُّلُمَاءُ مِنْ وَحْشَةِ سِوَى
كِتَابٍ دَعَوْنَاهُ شِهَابًا لِأَنَّهُ
أَتَانِي عَلَى بُعْدٍ فَأَدَّى وَدَائِعَا
أَجَلِ رِجَالِ الْحُبِّ فِي مَذْهَبِ الْهَوَى
وَحَيْرٌ كَرِيمٌ مَنْ يُكَافِي صَنِيعَةً
تَحَمَّلْتُ مِنْ مَحْمُودٍ أَكْبَرَ مِنْهُ
تَصَفَّحَ مَطْبُوعًا فَأَتْنِي بِطَبْعِهِ
حَبَانِي عَلَى بُعْدِ الْمَدَى بِرِسَالَةٍ
مَنْعَتْ أَنْصِرَافَ الْعَيْنِ عَنْهَا تَصَبُّبًا
أَتَتْ تَنْجَلِي بَيْنَ اثْنَتَيْنِ وَلَيْسَ لِي
ضَعِيفٌ يُبَارِي قُوَّةَ مِنْ جَمَاعَةٍ
تَفَضَّلَ بِالْمَدْحِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
فَكَانَ لَهُ فَضْلَانِ فَضْلٌ عَلَى الثَّنَا
أَلَا يَا بَعِيدَ الدَّارِ قَلْبُكَ قَدْ دَنَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْقُلُوبِ تَقَرُّبُ

وقال في جواب الثالث:

خَيَالُ كَذُوبٍ عِنْدَهُ الْعَهْدُ ضَائِعُ
أَقَامَتْ عَلَيْهِ أَلْفَ بَابٍ يُمَانِعُ
تَبَيَّتْ وَرَاءَ الْحُجُبِ وَالْبَدْرِ طَالِعُ

سَرَى جَنْحُ لَيْلٍ وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ
خَيَالُ الَّتِي لَوْ أَنْذَرْتُ بِمَسِيرِهِ
فَتَاةٌ حَكَّتْ بَدْرَ الدُّجَى غَيْرَ أَنَّهَا

مَتَى حُفِظَتْ عِنْدَ الْجِسَانِ الْوَدَائِعُ
بَطَلَعَتْهُ الْإِحْسَانُ لِلْحُسْنِ شَافِعُ
أَيَادٍ جِسَامٌ عِنْدَنَا وَصَنَائِعُ
أَتَتْنَا إِلَى بَيْرُوتَ مِنْهُ طَلَائِعُ
كَمَا تَبِعَتْ مَا قَبْلَهُنَّ التَّوَابِعُ
هِيَ الزَّهْرُ لَكِنَّ السُّطُورَ مَطَالِعُ
وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَبْيَضُ نَاصِعُ
كَرِيمٌ هَدَايَاهُ اللَّالِي السَّوَاطِعُ
لَبِيبٌ لِأَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ جَامِعُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي فِعْلِهِ مَن يُضَارِعُ
وَذَاكَ لَهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ رَافِعُ
شَرَابٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ لِلنَّاسِ نَابِعُ
وَيُرَوَى بِمَا يَرُويهِ دَانٍ وَشَاسِعُ
وَفِي غَيْرِهَا تَنْبَتْ مِنْهَا الْمَنَافِعُ
هِيَ الْأُمُّ وَالْأَقْطَارُ مِنْهَا رَوَاضِعُ
وَهَيْهَاتَ مَا لِي فِي اللَّقَاءِ مَطَامِعُ
فَهَذَا لِهَاتِيكَ الثَّلَاثَةِ رَابِعُ

قَدْ اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي فَضَاعَ وَيَا تُرَى
وَأَيْنَ تَرَى الْحُسْنَى مِنَ الْحُسْنِ الَّذِي
هُوَ الصَّادِقُ الْخَلُّ الْوَفِيُّ الَّذِي لَهُ
لَهُ مِنْ قَوَافِي الشَّعْرِ جَيْشٌ عَزْمَرَمُ
قَوَافٍ قَفَاهَا أَنْسَهُ تَابِعًا لَهَا
هِيَ الزَّهْرُ لَكِنَّ الطُّرُوسَ كَمَاثِمُ
لَهَا مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَسْوَدُ حَالِكُ
حَبَانَا بِهَا طَلُقَ الْبَنَانُ مُهَذَّبُ
أَدِيبٌ بِآيَاتِ الْبَلَاغَةِ مُفَرَّدُ
أَخُو الْحَزْمِ مَاضِي الرَّأْيِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
يَظَلُّ إِلَيْهِ مُسْنِدًا كُلُّ طَالِبِ
جَزَى اللُّهُ مَاءَ النَّيْلِ خَيْرًا فَإِنَّهُ
شَرَابٌ لِأَهْلِ اللِّهِ يُرَوَى بِهِ الظُّمَأُ
كَفَى اللُّهُ مَضْرًا عَنْ مَنَافِعِ غَيْرِهَا
مَحَطُّ رِحَالِ الْعِلْمِ فِي كُلِّ حَقِيقَةِ
أَشَوْقُ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَمَنْ بِهَا
إِذَا قِيلَ إِنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ

وكتب إليه محمد عاقل أفندي من الإسكندرية:

أَنْيَنُ وَدَاعِي لِلرَّبَابِ مَتَى بِنَا
وَتَلَمَحْنِي سِرًّا فَتَمْنَحْنِي وَهَنَا
وَهَلْ تَنْقِي هَمْعَ الْجُفُونِ يَدُ الْمُضْنَى
فَتُسْهِرُ لِي الْأَجْفَانَ أَجْفَانَهَا الْوَسْنَى
وَلَا بَدِيَارِ الْأَنْسِ مِنْ بَعْدِهَا سُكْنَى
فَشَطَّطْتُ وَكُنَّا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
وَجَادَ بِسَرِّي الدَّمْعُ مِنْ بَعْدِ أَنْ ضَنَا
لَدَيْهَا لَهْدُ الْبَيْنِ مِنْ عُمْرِي الرُّكْنَا

يُذَكِّرُنِي الْقَمَرِيُّ بِاللَّيْلِ إِذْ غَنَى
تُشَيِّعُنِي بِالطَّرْفِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا
تُكَفِّفُ عَيْنًا بِالْأَمْعِ تَرَعْرَعَتْ
تَبِينُ فَيَذْنُو لِلْفُؤَادِ خَيَالُهَا
وَمَا كَانَ لِلْأَشْوَاقِ قَبْلِي مَسَاكِنُ
أَرَى أَنَّ بَخْتِي شَدَّ لِلْبَيْنِ بَخْتَهَا
فَأَهَا عَلَى صَبْرِي لَقَدْ هُدَّ رُكْنُهُ
وَلَوْلا اِعْتِقَادِي أَنَّ مَا بِي بِعَيْنِهِ

لَهَا الْعُذْرُ قَدْ سَارَتْ لِمَا يُحْسِنُ الطَّعْنَ
لَهُمْ تَنْتَمِي الْأَلَاءُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى
وَصَارَ يَقِينُ الْأَمْرِ فِي عِلْمِهِ ظَنًّا
بَسِيمٍ وَسِيمٍ قَدْ حَوَى الْحُسْنَ وَالْحُسْنَى
مَجْرِيَةِ الْإِسْعَافِ فِي كُلِّ مَا عَنَّا
عَلَى أَنَّ ذَاكَ الْغَيْرَ قُدْوَةٌ مَن أَتْنَى
يُنَادِي نَصِيفَ الْيَارَجِيِّ وَقَدْ أَقْنَى
لَأَهْلِ النُّهَى كَمْ قَدْ أَجَادَ لَنَا فَنَّا
وَعَوْدُنِي مَجْدًا فَصَيَّرَنِي قَنَّا
أُكْرِرُهَا وَرَدًّا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ جَنَّا
بِعَيْنِي نَصِيفَ الشَّامِ أَوْ أَقْرَعَ السَّنَا
كَسَادُ الْهَنَا فِيهَا بِهِ الْكُونُ قَدْ رَنَّا
وَأَذْكُرُهُ مَا أَنَّ صَبًّا وَمَا حَنَّا
إِلَيْهِ لِنَقْضِي فِي الْمَوَدَّةِ مَا سَنَّا
وَلَا زِلْتُ مَذْكُورًا بِمَجْلِسِهِ الْأَسْنَى

وَمَا رَاعَنِي فِي الدَّهْرِ إِلَّا فِرَاقُهَا
لَقَدْ قَصَدَتْ بَيُورُوتَ دَارِ أَعَزَّةٍ
نَزِيلُهُمْ قَدْ شَكَّ فِي أَصْلِ دَارِهِ
مَدِينَةُ ظَرْفٍ مَا بِهَا غَيْرُ فَاضِلٍ
تَشَدُّ لَهُ الْأَلْبَابُ كُلُّ مَطِيَّةٍ
صَغِيرُهُمْ فِي الْمَجْدِ سَيِّدٌ غَيْرُهُمْ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ شَبَّ طَوْقُهُ
مَجِيدُ الْمَعَانِي وَهُوَ لِلْقَوْلِ حُجَّةٌ
سَقَانِي هَنِيَّ الْوُدِّ وَهُوَ أَبُو الْهَنَا
قَصَائِدُهُ عِنْدِي تَمَائِمُ مُهَجَّتِي
أَيُنْصِفُنِي دَهْرِي وَفِي الْعُمْرِ هَلْ أَرَى
فَمَا أَسْفَى إِلَّا مُقَامِي بِبَلَدَةٍ
أَشَوْقُ لَهُ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ غُدْوَةً
وَهَا بِنْتُ فِكْرِي سَارَ بِالشَّوْقِ رَكْبُهَا
فَلَا زَالَ مَحْفُوفًا بِالْأَطَافِ رَبِّهِ

فأجابه يقول:

رَبِيبَةُ خَدْرِ تَجْمَعُ الْحُسْنَ وَالْحُسْنَى
فَلَمْ تَرْضَ إِلَّا أَسْوَدَ الْقَلْبِ لِلْسُكْنَى
لِمَا أَبْرَزْتَ مِنْ رَقَّةِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى
عَلَيَّ فَكَانَتْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
مِنَ الْبَحْرِ لَكِنْ صَادَقَتْ عِنْدَنَا حَزْنَا
نَعِيضُ الصَّدَى عَنْ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ الْأَهْنَى
رَأَى قَيْسُ لُبْنَى حُسْنَهَا صَدَّ عَنْ لُبْنَى
عَقِيقًا بِهِ عَنْ ظَرْفٍ أَخْلَاقُهَا يُكْنَى
كَرِيمٌ يَشَوْقُ الْقَلْبَ وَالْعَيْنَ وَالْأُنْثَى
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْجِدِي بِهِ مُضْنَى

أَتَتْنِي بِلَا وَعْدٍ مِنَ الْمَنْزِلِ الْأَسْنَى
فَرَشْتُ لَهَا بَيْضَ الْقُصُورِ مَطَارِفًا
رَقِيقَةً مَعْنَى صَيَّرْتَنِي رَقِيقًا
دَنْتُ فَتَدَلَّتْ دَانِيَاتُ قُطُوفِهَا
أَتَتْنَا تَخُوضُ الْبَحْرَ جَاهِدَةَ السُّرَى
وَفَاتَتْ مِيَاهَ النَّيْلِ تَطْلُبُ قَفْرَةً
مُحَدَّرَةً لَمِيَاءَ عَزْنَى الْوِشَاحِ لَوْ
لَقَدْ أَلْبَسَتْ ثَوْبَ الْبَيَاضِ وَخَتَمَتْ
عَقِيلَةَ قَوْمِ زَفَّهَا الْيَوْمَ عَاقِلٌ
أَتَتْنِي عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ تَعَوْدُنِي

وَمَنْ لِي بِأَنْ أَتُنِّيَ عَلَيْهِ كَمَا أَتُنِّي
وَلَكِنَّ عَيْنَ الْحُبِّ قَدْ تَخَلَّقُ الْحُسْنَ
عَنِ الْغَوْلِ وَالْعَنْقَاءِ أَطْمَاعُنَا تَتُنِّي
فَيَنْمُو نُمُو الْغَرَسِ فِي الرُّوضَةِ الْغَنَّا
جَوَاهِرُ أَبْيَاتِ الْقَرِيضِ بِهَا تُبْنِي
وَأُطْرَبُ مِنْ صَوْتِ الْهَزَارِ إِذَا غَنَى
فَأَيَّمَنْتِ الْيُسْرَى وَأَيَّسَرْتَ الْيُمْنَى
فَكِدْنَا لِذِي الْقَرْنَيْنِ نَحْسَبُهَا قَرْنًا
تَمَتَّعَ بِالْأَلْطَافِ مَنْ مَنْ مَنَا
وَأَوْدَعْتَ ذَاكَ الْقَلْبَ فِي يَدِهِ رَهْنَا

كَرِيمُ الثَّنَا أَتُنِّي عَلَيَّ بِوَصْفِهِ
أَنَا الْآلُ لَكِنْ لَا أَقُولُ غَرَزْتُهُ
وَجَدْنَا بِهِ الْخِلَّ الْوَفَى فَلَمْ تَكُنْ
يَزِيدُ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ وَدَادُهُ
أَدِيبٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ نَائِرٌ لَهُ
لَطَائِفُ مَعْنَاهُ أَرْقُ مِنْ الصَّبَا
أَصَابَتْ يَدَاهُ الْيُمْنُ وَالْيُسْرُ فِي الْوَرَى
تَبَاهَتْ بِهِ الْإِسْكَندَرِيَّةُ عَظْمَةً
هُوَ الْعُمَرِيُّ الطَّاهِرُ النَّسَبِ الَّذِي
ضَمِنْتُ لَهُ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ طَائِعًا

وكتب إليه الشيخ محمد المؤقت من طرابلس:

إِنْ لَمْ أُمْتُ بِلَوَاحِظٍ وَحَوَاجِبٍ
لَا تَحْتَ نَقْعٍ عَجَاجَةٍ وَكُتَائِبٍ
وَجِدَا بِهِنَّ فَذَاكَ أَكْذَبُ كَاذِبٍ
خَفَضِي وَهَنَّ عَلَى الْغَرَامِ نَوَاصِبِي
مِنْ لَيْنٍ عَامِلٍ قَدَّهِنَّ لِطَالِبٍ
مَا لَيْسَ يُفْعَلُ بِالْحُسَامِ الْقَاضِبِ
فَجَرَيْنَ لَكِنْ كَالسَّحَابِ السَّكَابِ
فَأَصْبَنْتَنِي فِي كُلِّ سَهْمٍ صَائِبٍ
أَنْ لَا يَفِينَ بِوَعْدِهِنَّ لِصَاحِبٍ
وَإِذَا وَعَدْنَ فَوَعْدُهُنَّ تَجَانِبِي
عَبْدٌ لَهُنَّ وَإِنْ عَتَبْنَ عَوَاتِبِي
مَوْصُولٌ حَيِّي فِي نَصِيفِ الْكَاتِبِ
مِنْ لَفْظِهِ إِذْ كَانَ بَحْرَ مَوَاهِبِ
فُطِ الرِّقِيقُ وَحُسِّنَ فِكْرُ ثَاقِبِ
فِي صَرْفِ مُشْكَلَةٍ وَنَحْوِ أَعَارِبِ

لَمْ أَقْضِ يَوْمَ الْبَيْنِ ذِمَّةً وَاجِبٍ
مَا الْمَوْتُ إِلَّا فِي ظِلِّ لَحْظِ الظُّبَى
لَا خَيْرَ فِي حُبِّ امْرَأَةٍ مَا لَمْ يَمُتْ
مَا لِي وَلِلْبَيْضِ الْحِسَانِ جَزَمَنْ فِي
هَلَا رَفَعَنْ لَظَى الْغَرَامِ بِضَمَّةٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فَعَلَنْ بِمُهْجَتِي
أَرْسَلَنْ خَيْلَ الدَّمْعِ طَلْقًا فِي الْهَوَى
وَرَمَيْنَ عَنْ مِثْلِ الْهَلَالِ تَقْوُسًا
حَتَّى غَدَوْنَ وَقَدْ حَلَفَنْ أَلِيَّةً
فَإِذَا وَصَلَنْ فَوَضَلُهُنَّ قَطِيعَتِي
أَوْ مَا عَلِمَنْ وَمَا سَمِعَنْ بِأَنْنِي
فَإِلَى مَتَى يَفْتُكُنْ فِي وَعَائِدِي
الْمُفْعِمُ الْبَحْرَ الْخَضَمَ جَوَاهِرًا
وَالنَّاطِمُ الْمَعْنَى الدَّقِيقَ بِرَقَّةِ اللَّ
مَوْلَى لَهُ فِي كُلِّ فَنٍّ مَنْطِقُ

بِأَنَامِلٍ تَهْمِي بِخَمْسِ سَحَائِبٍ
أَلْقَى الْبَدِيعُ لَهُ مَعَانِي الصَّاحِبِ
خَلْنَا سَمَاءً زُيْنَتْ بِكُوكَبِ
جَمَعَتْ ثَنَاءَ مَشَارِقِ وَمَغَارِبِ
يَرْقَى وَإِنْ كَانَتْ أَقْلَ مَرَاتِبِ
مَاضٍ وَكُلَّ غَضَنْفَرٍ بِمُحَارِبِ
مَا كُلُّ مَنْ سَلَ الحُسَامِ بِضَارِبِ
عَطَرْنَ كُلَّ تَنُوفَةٍ وَسَبَاسِبِ
مِلْحُ أَجَاجٍ لَا يَلْدُ لِشَارِبِ
يَوْمًا لِشَخْصٍ بَعْدَ سَبَقِ نَوَائِبِ
أَبْنَاءَ دَوْحَتِهِ لِبُعْدِ تَنَاسِبِ
وَضَعُ العِمَامَةِ عِنْدَ كَشْفِ غَرَائِبِ
يَخْفَى سَنَاءُ الْبَدْرِ تَحْتَ غَيَاهِبِ
وَفَى صَدِيقٍ لَمْ تَلْذَهُ أَقَارِبِي
هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ أَجَلٍ مَآرِبِي
وَأَقُولُ يَا بُشْرَايَ صَارَ مُكَاتِبِي
لَشَدَدَتْ نَحْوَ حِمَى عَلَاهُ رَكَائِبِي
وَبِأَيِّ حَالٍ فَهُوَ خَيْرُ حَبَائِبِي

وَلَهُ الْيَدُ الْعُلْيَا عَلَى هَامِ الْعُلَا
إِنْ حَالَ يَوْمًا فِي الْبَدِيعِ بَيَانُهُ
أَوْ مَاسٍ فِي أَرْضِ الطُّرُوسِ يِرَاعُهُ
لِلْهِ هَاتِيكَ الصِّفَاتُ فَإِنَّهَا
هَيْهَاتَ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي دُونَهُ
أَتَظُنُّ كُلَّ مُهَنْدٍ فِي غَمْدِهِ
لَا يَخْدَعَنَّكَ بِالْمُحَالِ فَإِنَّهُ
هَذَا هُوَ الرُّوضُ الَّذِي أَزْهَارُهُ
هَذَا هُوَ الْمَاءُ الزُّلَالُ وَغَيْرُهُ
هَذَا هُوَ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
هَذَا هُوَ الْفَخْرُ الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ
هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي تَعْرِيفُهُ
وَلَقَدْ سَمْتُ وَمَا رَأَيْتُ وَهَلْ تُرَى
وَالْحُرُّ يُعْشَقُ بِالسَّمَاعِ وَرُبَّمَا
لَا غَرَوْ أَنْ سَمَحَتْ يَدَاهُ بِأَحْرَفِ
كِي مَا أَتَيْهَ بِهَا عَلَى كُلِّ الْوَرَى
أَقْسَمْتُ لَوْ عِنْدِي كِفَايَةٌ لَيْلَةٍ
لَكُنْ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا

فأجابه يقول:

هَيْهَاتَ لَيْسَتْ مِنْ صَنَاعَةِ كَاتِبِ
يَا مَيِّ أَمْ لَيْسَتْ بِصَبْغَةِ خَاضِبِ
وَلِحَاضِطِهَا مِنْ رَهْطِ آلِ مُحَارِبِ
تَدْعُ الْعِدَى وَتُرِيدُ غَزْوَ الصَّاحِبِ
بِنُفْسِ الْغَنِيمَةِ نَهَبُ قَلْبٍ دَائِبِ
نَفْسِي فِدَاكِ فَأَيْنَ رِبْحُ النَّاهِبِ
يَصُوبُوا إِلَى حُبِّ الْبَعِيدِ الْغَائِبِ

مَنْ كَانَ كَاتِبَ نَوْنٍ هَذَا الْحَاجِبِ
وَمَنْ الَّذِي خَضَبَ الْخُدُودَ بِحُمْرَةِ
بِأَبِي اللَّتِي مِنْ آلِ بَدْرِ وَجْهَهَا
تَغْزُو كَمَا تَغْزُو الْكُمَاةُ وَإِنَّمَا
قُلٌّ لِلَّتِي نَهَبَتْ فَوَادٍ مُحِبَّهَا
نَهَبَتْ خِلَاصَةً مَا لَهَا مِنْ بَيْتِهَا
كَمْ بَيْنَ مَنْ يَجْفُو الْخَلِيطَ وَبَيْنَ مَنْ

يَهْوَى وَيُهْوَى بِالْخَلِيقِ الْوَاجِبِ
قَطَعْتَ سَبَاسِبَ أُرْدَفَتِ سَبَاسِبِ
وَهُوَ الْغِنَى عَنِ امْتِحَانِ تَجَارِبِ
ثِقَةٍ بِهَا لَمَّا أَتَتْ بِعَجَائِبِ
مَا لَيْسَ تَحْمِلُهُ مُتُونُ نَجَائِبِ
مِنْ رِقَّةِ الْمَعْنَى وَلَفْظِ أَعَارِبِ
نَقَشَ الْغَوَالِي فِي وُجُوهِ كَوَاعِبِ
لَبَّيْكَ مِنْ دَاعِ عَزِيزِ الْجَانِبِ
وَلَهُ ارْتِفَاعُ مَا لَهُ مِنْ نَاصِبِ
يَبْقَى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْكَادِبِ
كَتَوَازُنِ الْأَجْزَاءِ فِي الْمُتَقَارِبِ
عَظُمْتَ وَلَكِنْ لَيْسَ تُثْقَلُ غَارِبِي
إِذْ لَيْسَ مِنْ عَيْبٍ لَهُنَّ لِعَائِبِ

مَنْ كَانَ يَهْوَى فَلْيَكُنْ كَمُحَمَّدٍ
ذَاكَ الَّذِي مِنْهُ الْمَحَبَّةُ نَحْوَنَا
كُلُّ الصَّحَابِ نُرِيدُ تَجَرِبَهُ لَهُمْ
أَهْدَتْ إِلَيَّ رِسَالَهُ أَمَنْتُ عَنْ
حَمَلَتْ عَلَى ضَعْفٍ بِهَا مِنْ صَبْوَةٍ
عَرَبِيَّةٌ جَاءَتْ بِلُطْفِ حَوَاضِرِ
نَقَشَتْ سَوَادًا فِي الْبَيَاضِ كَأَنَّهُ
يَا مَنْ دَعَا فَأَجَابَ قَلْبِي طَائِعًا
ذَاكَ ابْتِدَاءً مَا لَهُ مِنْ نَاسِخِ
أَنْتَ الْوَفِيُّ الصَّادِقُ الْحُبُّ الَّذِي
وَلَقَدْ تَوَازَنْتَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَنَا
حَمَلْتَنِي مِنْ فَضْلِ جُودِكَ مِنْنَةً
مِنْ الْكِرَامِ عَلَى الرِّجَالِ خَفِيفَةً

وأرسل إليه المعلم مارون النقّاش من ترسييس أبياتاً لم نقف عليها، فكتب إليه بهذه

الآبيات:

كَالطَّيْرِ مُبْتَدِرًا إِلَى أَغْشَاشِهِ
مُتَمَتِّعًا مِنْهَا بِلَيْنِ فِرَاشِهِ
وَرَدُّ بِهِ يُرَوَّى غَلِيلُ عِطَاشِهِ
وَعَلَى مَنَازِلِنَا دُجَى إِيحَاشِهِ
وَسَقَاكَ مَزْنُ الصُّبْحِ صَفْوُ رَشَاشِهِ
فَالْقَلْبُ لَمْ تَسْكُنْ بِلَايِلِ جَاشِهِ
وَعَلَى تَلَوْنِ وَجْهِهِ وَرِيَاشِهِ
وَيُظَنُّهُ الْمَنْصُوحُ مِنْ غَشَاشِهِ
إِذَا كَانَ مُشْتَغَلًا بِأَمْرِ مَعَاشِهِ
يَخْطِفُنْ حَوْلَ نِعَاجِهِ وَكِبَاشِهِ
لَا تُسْعِفُ الْبَازِي عَلَى خُفَاشِهِ
مَنْ أَنْتَ مُقْتَدِرٌ عَلَى إِنْعَاشِهِ

نَزَعَ الْقَرِيضُ إِلَى حِمَى نَقَاشِهِ
حَمَلْتُهُ أَجْنَحَةَ الصَّبَابَةِ فَاسْتَوَى
يَا حَبْدَا ذَاكَ الْمَزَارُ فَإِنَّهُ
خَلَعَ الْحَبِيبُ عَلَيْهِ بِهِجَةً أَنْسَهُ
يَا دَارَ مَنْ أَهْوَاهُ حَيَاكِ الصَّبَا
إِنْ كَانَ قَدْ سَكَنْتَ عَلَيَّ رِحَالُهُ
طَبَعَ الزَّمَانُ عَلَى تَقَلُّبِ حَالِهِ
مَا زَالَ يَنْصَحُنَا بِنَكْبَةٍ غَيْرِنَا
لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَمْرَ مَعَايِهِ
يَسْتَأْمِنُ الْجَزَّارَ وَهُوَ يَرَى الْمُدَى
يَا مُسْعِفًا دَهْرِي عَلَيَّ بِهِجَرِهِ
أَنْعِمَ بِتَرْدَادِ الرِّسَائِلِ مُنْعِشًا

وكتب إليه محمد عاقل أفندي من الإسكندرية بقصيدة لم نجدها، فأجابه بقوله:

لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرَعَى ذِمَّةَ الْعَرَبِ وَكَيْفَ تُنْكَرُ فِي الْأَعْرَابِ نِسْبَتُهُ
يَا حَافِظَ الْعَهْدِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ أَرَى رَسَائِلَكَ الْبَيْضَاءَ لَوْ عَصِرَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ لَا يُغَيِّرُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا فِي قَوْمِنَا نَسَبٌ
مَا لِي وَلِلدَّارِ إِنْ شَطِطَتْ فَمَغْرَسُنَا إِذَا ظَفِرَتْ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُبْتَعِدٍ
لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَّ يُؤْنِسُنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي لَهُ شَخْصًا أُمَثْلُهُ
يَا عَاقِلًا عَقَلْتَ قَلْبِي مَوَدَّتُهُ مَلَكَتْنِي بِبَدِيعِ اللَّطْفِ مِنْكَ فَإِنْ
يَا حَبْدًا أَرْضَ مِصْرَ وَالَّذِينَ بِهَا وَحَبْدًا نَسَمَاتُ طَابَ عَنْصُرُهَا
صَبْرًا عَلَى نَكْدِ الدُّنْيَا الَّتِي طَبِعَتْ وَالصَّبْرُ أَنْفَعُ مَا دَاوَى الْجَرِيحُ بِهِ
مَا لَيْسَ تَقْطَعُهُ الْأَسْيَافُ يَقْطَعُهُ

عَلِمْتُ أَنَّكَ مِنْهَا خَالِصُ النَّسَبِ فَتَى لَهُ عَمَرُ الْفَارُوقِ خَيْرُ أَبٍ
وَحَافِظَ الْوُدِّ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَثَبٍ مِنْهَا الْمَوَدَّةُ سَالَتْ بِالنَّدَى الرَّطَبِ
بُعْدَ الدِّيَارِ وَهَوْلَ الْحَرْبِ وَالْحِرَبِ قَدَمًا فَقَدْ جَمَعْتَنَا نِسْبَةُ الْأَدَبِ
طَيِّ التَّرَائِبِ لَا مَطْوِيَّةُ التُّرْبِ فَمَا أَبَالِي بِرَبْعٍ غَيْرِ مُقْتَرِبِ
طُولَ الْمَدَى بِوُرُودِ الرُّسُلِ وَالْكَتَبِ لَكَانَ فِي الْوَهْمِ عَنْ عَيْنِي لَمْ يَغِبِ
لَا أَطْلُقَ اللَّهُ هَذَا الْأَسْرَ فِي الْحَقَبِ بَغَى سِوَاكَ اقْتِنَاصِي كُنْتُ كَالسَّلَبِ
وَحَبْدًا نَهْلَةً مِنْ نِيلِهَا الْعَذَبِ وَإِنْ يَكُنْ عَنْصُرُ الْإِيَّامِ لَمْ يَطِبِ
عَلَى مُعَاقِبَةِ الْأَحْدَاثِ وَالنُّوَبِ جُرَحَ الْفُؤَادِ وَأَهْدَى الطَّرْقِ لِلْأَرْبِ
مَرُّ الزَّمَانِ كَقَطْعِ النَّارِ لِلْحَطَبِ

هذا ما استطعنا جمعه من هذه المراسلات، وقد بقيت عدة قصائد واردة من الجهات لم نجدها، فلم نتعرض لطبع أجوبتها المدرجة في النبذتين المطبوعتين من ديوانه. ومما فاتنا أيضاً الرسائل النثرية المرسلة منه إلى الشعراء خطاباً أو جواباً؛ إذ ليس لها صور ولا سبيل إلى استجلابها من حيث هي؛ ولذلك خلا منها هذا المجموع.

وقد قرّظه خضرة الشاعر المجيد أسعد أفندي طراد بهذه الأبيات:

كَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ خَاضَ فِي حَلِيَّةِ الشُّعْرِ وَمَنْ جَالَ فِي بَحْبُوحَةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
تُهَادِيهِ أَعْلَامُ الْبِلَادِ رَسَائِلًا مِنْ الشَّرْقِ حَتَّى الْغَرْبِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

لَعَمْرُكَ هَلْ مِنْ شَاعِرٍ قَدْ تَزَاحَمَتْ
يُعَدُّ لَهُمْ فَضْلُ بِذَلِكَ وَمِنَّةٌ
مُطَارَحَةً أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ عِنْدَنَا
تَصَافَحَتْ الْأَنْفَاسُ فِيهَا فَأَبْرَزَتْ
لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةً وَحَدِيثُهَا
فَلَيْسَ لِقَارِيهَا مِلَاكٌ وَلَوْ قَرَا
فَقُلْ لِدَوَى الْأَلْبَابِ هُبُوا وَبَادِرُوا
فَذَلِكَ يُعْطِي الْحَيَّ مَجْدًا وَرِفْعَةً

على بابيه الأشعارُ من عُمدِ العَصْرِ
نَعَمْ وَلَهُ حَظٌّ جَلِيلٌ مِنَ الْفَخْرِ
وَأُبْهَجُ مِنْ زَهْرِ الْحَدَائِقِ وَالزَّهْرِ
نَسَائِمُهَا عَرْفًا أَلَذَّ مِنَ الْعِطْرِ
يَظَلُّ جَدِيدًا بَيْنَ زَيْدٍ إِلَى عَمْرِ
بِهَا فِي نَهَارٍ مَا سَيَقْرَاهُ فِي شَهْرِ
إِلَى كَنْزٍ عِلْمٍ لَا إِلَى الْبَيْضِ وَالصُّفْرِ
وَيُعْطِيهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ذِكْرًا إِلَى الْحَشْرِ

وقد قرَّظه حضرة الشاعر المطبوع عبد الله أفندي فريج؛ قال:

وفاكهةً في رَوْضِهَا بِالْبَهَا بَهَتْ
رياضُ بِهَا الْأَدَابُ كَالزَّهْرِ بِهَجَّةٍ
عَرَائِسُ أَفْكَارٍ تَجَلَّتْ لَنَا فَكَمْ
وَأُبْكَارُ خِذَرٍ مَعَ بَنَاتٍ قَرِيحَةٍ
فَكَمْ مِنْ مَعْنَى قَدْ سَبَتْ بِجَمَالِهَا
إِلَيْهَا بُدُورُ النَّتْمِ بَاتَتْ حَوَاسِدًا
وَوَدَّتْ شَمُوسُ الْحُسْنِ مِنْ غَيْرَةٍ لَهَا
دَرَارٍ بِهَا أَهْلُ النُّهَى قَدْ تَفَاكَهَتْ
تَحَرَّى عَزِيزُ الْقَوْمِ جَمْعًا لَشَمْلِهَا
وَإِذْ أَدْرَكْتَ حَدَّ الْكَمَالِ بِطَبْعِهَا
ظَفِرْتُمْ أَهْيَلُ الْجَاهِ وَالْجُودِ بِالْمُنَى

فَمَا شَامَهَا الْوُلَهَانُ إِلَّا وَقَدْ بَهَتْ
فَمِنْهَا نُفُوسُ النَّاسِ فَازَتْ بِمَا اشْتَهَتْ
مَحَاسِنُهَا فِي الْخَلْقِ عَنْ غَيْرِهَا نَهَتْ
عَلَى صَبْهَا أَرْحَتْ دَلَالًا وَتَيَّهَتْ
وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ تَيَمَّنَتْهُ وَوَلَّهَتْ
فَمِنْ دَهْشَةٍ تَرْنُو إِلَيْهَا وَقَدْ سَهَتْ
بِأَفْقِ الْعُلَا يَوْمًا بِهَا لَوْ تَشَبَّهَتْ
فَحَثَّتْ عَلَى فَضْلِ عُقُولًا وَنَبَّهَتْ
فَلَا بِدَعٍ أَنْ حَاكَنَتْهُ لُطْفًا وَأَشْبَهَتْ
لِصَحْبِ تَوَارِيخِ النَّهَانِي بِهَا شَدَتْ
فَفَاكِهَةُ النَّدْمَانِ فِي أَهْلِهَا زَهَتْ

[ظَفِرْتُمْ = ١٦٢٠، أَهْيَلُ = ٤٦، الْجَاهُ = ٤٠، وَالْجُودُ = ٥٠، بِالْمُنَى = ١٣٣].

[فَفَاكِهَةُ = ٥٨٦، النَّدْمَانِ = ١٧٦، فِي = ٩٠، أَهْلِهَا = ٤٢، زَهَتْ = ٤١٢].

[ظَفِرْتُمْ أَهْيَلُ الْجَاهِ وَالْجُودِ بِالْمُنَى = ١٨٨٩ ، فَفَاكِهَةُ النَّدْمَانِ فِي أَهْلِهَا زَهَتْ

.[١٣٠٦ =

وقال أيضاً:

فَصِفَاتُ الْمَجْدِ لَنَا وَسَمَا	الْيَوْمُ الْفَضْلُ عَلَا وَسَمَا
عَنْ سَامِي أَفْكَارِ الْعُلَمَا	بِمَجَانِي فَاكِهَةٌ نَتَجَتْ
فَهَوَاهَا فِي الْقَلْبِ ارْتَسَمَا	غَيْدٌ مَاسَتْ بِمَعَاطِفِهَا
وَسَبَتْ بِمَحَاسِنِهَا عَجَمَا	لَعَبَتْ بِعُقُولٍ فِي عَرَبٍ
قَدْ خِلْتُ الدَّرَّ بِهِ انْتَضَمَا	تَاهَتْ بِبَدِيعٍ فِي عُجْبٍ
كُسْلَافٍ يَجْرِي مُنْسَجَمَا	وَصَفَتْ بِمَعَانٍ رَائِقَةٍ
إِذْ أَضْحَى مُفْرَدُهَا عِلْمَا	بِعَزِيزٍ عَزَتْ فَاشْتَهَرَتْ
يَصُبُّ مِنْهَا لِرَحِيقِ لَمَى	فَلِذَاكَ الصَّبُّ بِهَا دَنَفُ
تَارِيخُ يَزْهُو مُبْتَسَمَا	وَالْيَوْمُ شَدَا مِنْهُ طَرَبَا
سَحَرَتْهَا فَاكِهَةُ النَّدْمَا	أَذْهَانُ الْقَوْمِ أَخَا شَجِنِ

[أَذْهَانُ = ٧٥٧، الْقَوْمُ = ١٧٧، أَخَا = ٦٣، شَجِنُ = ٣٥٣].

[سَحَرَتْهَا = ٦٧٤، فَاكِهَةُ = ٥٠٦، النَّدْمَا = ١٢٦].

[أَذْهَانُ الْقَوْمِ أَخَا شَجِنُ = ١٨٨٩، سَحَرَتْهَا فَاكِهَةُ النَّدْمَا = ١٣٠٦].

وقال الفقير إليه — تعالى — عزيز زند (جامع هذا الكتاب):

مُرَاسَلَاتُ الْأَدْبَا قَدْ بَدَتْ	فَاكِهَةٌ مِنْ فَاكِهَاتِ الْجِنَانِ
كَأَنَّهَا فِي حُسْنِ تَنْظِيمِهَا	عُقُودٌ دُرٌّ فِي نُحُورِ جِسَانِ
لَا بَدْعَ أَنْ جَلَّتْ فَنُظَامُهَا	قَدْ نَصَبُوا عُكَازَ هَذَا الزَّمَانِ
تَرَى الْمَعَانِي مُقْبِلَاتٍ إِلَى	أَقْلَامِهِمْ مُنْقَادَةً بَعْنَانِ
فَتَنْفُثُ السَّحَرَ وَتَنْلُو لَنَا	ذِي حِكْمَةِ الشَّعْرِ وَسِحْرِ الْبَيَانِ
تَرْشُفُ كَاسَاتِ الْمِدَادِ بِهَا	سُورَةُ سُكَّرٍ مِنْ كُنُوسِ الدَّنَانِ
لَكِنَّ حَمَرَ الشَّعْرِ قَدْ حَلَّ فَاجُ	رَعُ أَيُّهَا الْقَارِي عَلَيْكَ الْأَمَانِ
مِنْهُمْ نَاصِيفُ الَّذِي شَعْرُهُ	لَهُ اللَّوَا الْعَالِي بِكُلِّ مَكَانِ
رَوَّجَ سَوْقَ الشَّعْرِ دِيوَانُهُ	وَأَرْخَصَ الدَّرَّ الثَّمِينِ الْمُصَانِ

مِصْرُ وَسُورِيَا وَنَجْدُ وَمَا بَيْنَ الْعِرَاقَيْنِ وَشَحْرُ عُمان
قَدْ قَابَلْتُ بِالْمَدْحِ أَشْعَارَهُ لَمَّا بَدَتْ مُسْتَعَذَّبَاتِ الْمَجان

